مجلة فلسطين لابحاث الامن القومي
Palestine Journal for National Security Researches
(PJNSR)

مجلة فلسطين لأبحاث الامن القومي 2022، 1(03)، 71-105

# إسرائيل وسياسة إنكار وجود الشعب الفلسطيني

# Israel and the policy of denying the Palestinian people's existenc

**الدكتور محمد جبريني**

**Dr. Mohamed Gebrini**

**تاريخ الإستلام:2022/03/19 تاريخ القبول: 2022/05/05 تاريخ النشر: 2022/07/30**

**ملخص:**

لم تكن الفائدة المرجوة من هذه الدراسة تقديم رواية سردية عن الموضوع، وإنما بحثه كظاهرة سياسية لها قواعدها الداخلية، التي تضبط توازنها وحركتها ومختلف عوامل ومتغيرات بيئتها الداخلية والخارجية، من خلال فهم وتحليل العقل السياسي الإسرائيلي، بما يحتكم إليه من قواعد وقيود جوهرية متراكمة تعكس منظومته العواملية المرجعية؛ التاريخية، والدينية، والأيدولوجية، وما يصاحبها من متغيرات تؤثر في سياسة إسرائيل. الأمر الذي يساهم في تفسير أسباب فشل جهود التسوية السياسية السلمية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي خلال الثلاثة عقود الماضية، على الرغم من الجهود الإقليمية والدولية، غير المسبوقة، التي بُذِلت لتحقيق تلك التسوية دونما طائل.

نظر قادة الحركة الصهيونية وفيما بعد قادة إسرائيل إلى الشعب الفلسطيني بصورة استعلائية وعدائية، وأنكروا منذ وقت مبكر وجوده كشعب له جذور عميقة، وأصول تاريخية، وتجليات حضارية انبثق عنها هوية جماعية وتطلعات وطنية. ومع تبلور الصراع على الأرض، رفض الفلسطينيون فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين تحقيقاً لوعد "بلفور". ووصل الصراع ذروته عند صدور قرار التقسيم عام 1947، الذي وافقت عليه الحركة الصهيونية لتثبيت وجودها على الأرض واكتساب الشرعية الدولية، في حين رفضه الفلسطينيون الذين تعاملوا معه كصدمة سياسية، أملتها معطيات السياق التاريخي في ذلك الوقت.

لم تلتزم إسرائيل بمضامين واشتراطات قرار التقسيم، واستغلت نتائج حرب عام 1948، وقامت بتوسيع حدودها بما يتجاوز قرار التقسيم، واستولت على 78% من أرض فلسطين "الانتدابية". وتزامن ذلك مع ضربات قاسية وُجِّهت للكيانية الوطنية الفلسطينية، بعد أن تم ضم الضفة الغربية للمملكة الأردنية الهاشمية، وإلحاق قطاع غزة بالحكم المصري. وبعد أن قامت إسرائيل باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وأراضٍ عربية أخرى عام 1967، استمرت في إنكار وجود الشعب الفلسطيني ورفضت الاعتراف بممثله الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية، ونفت أحقيته بدولة.

*ايميل الباحث الرئيسي: m3.Jibrini@gmail.com

بمرور الوقت، أدركت إسرائيل أن وضع الفلسطينيين الذين يخضعون إلى احتلالها لن يستمر طويلاً وفقاً لصيغة الوضع الراهن القائمة والمفضلة لديها، الأمر الذي جعلها تبحث عن بدائل أخرى لا يترتب عليها تكلفة حقيقية، تُنهي تلك المعضلة الزاحفة والمتراكمة، وتوفر حلاً "للسكان الفلسطينيين"، لكن دون التنازل عن الأراضي المحتلة. وكذلك استمرت بالتهرب من مواجهة الحقيقة الواضحة التي تفيد أن الشعب الفلسطيني لن يرضى بأن يكون أقل من الشعوب التي نالت حريتها، وقررت مصيرها بنفسها، وأسست دولها المستقلة.

الكلمات المفتاحية: إسرائيل، سياسة إنكار، وجود الشعب الفلسطيني.

**Abstract :**

The objective of the study was not to provide a narrative on the subject, but rather to examine it as a political phenomenon with its internal rules, which regulate its balance, its movement and the various factors and variables of its internal and external environment. Particularly, through understanding and analyzing Israel's political mindset, with its cumulative substantive rules and constraints reflecting on its reference system; historical, religious, and ideological variables that affect Israel's policy. Thus, contributing to the explanation of the reasons for the failure of peaceful political settlement efforts between the Palestinian and Israeli sides over the past three decades, despite unprecedented regional and international efforts to achieve that settlement.

Not only the leaders of the Zionist movement and, later, Israel's leaders viewed the Palestinian people in an intrusive and hostile manner, but also, they, from an early date, denied their existence as people with deep roots, historical origins and cultural manifestations that gave rise to a collective identity and national aspirations. As the conflict on the ground crystallized, the Palestinians rejected the idea of the support for the establishment of a national home for the Jewish people in fulfillment of "Balfour" declaration. Moreover, this reached its climax in 1947, when the partition resolution was adopted. And while the Zionist movement approved to stabilize its presence on the ground and gain international legitimacy. whereas, the declaration was rejected by Palestinians who dealt with it as a political shock, the historical context at the time dictated it.

Israel did not abide by the contents and requirements of the partition resolution, it also exploited the consequences of the 1948 war, expanded its borders beyond the partition resolution, and seized 78% of Palestine's "mandatory" land. This coincided with severe strikes against the Palestinian national entity, following the annexation of the West Bank

to the Hashemite Kingdom of Jordan and the Gaza Strip to Egyptian rule. After Israel's occupation of the West Bank, the Gaza Strip and other Arab territories in 1967, it continued to deny the existence of the Palestinian people and refused to recognize its legitimate representative, the Palestine Liberation Organization, and denied his entitlement to a State.

Over time, Israel recognized that the situation of Palestinians under its occupation would not last long according to its current and preferred status quo formula. Therefore, this made Israel seek other alternatives that do not entail a real cost, ends that creeping and cumulative dilemma and provides a solution to the "Palestinian population", but without ceding the occupied territories. It also continued to evade the obvious fact that the Palestinian people would not be content to be less than those who had gained their freedom, decided their own destiny and established their own independent States.

**Keywords**: Israel, the policy of denial, the existence of the Palestinian people.

**المقدمة**

حظيت دراسات الصراع العربي-الإسرائيلي ومجمل الأدبيات السياسية التي تناولته، باهتمام بالغ في مختلف دوائر صنع القرار المحلية والإقليمية والدولية، نظراً لتأثيره المباشر وغير المباشر على السلم والاستقرار الدولي، كونه نشأ بالأصل عن توازنات واتفاقات القوى العظمى، واقترنت بوجوده حروب، وتبدلت نِتاجه أنظمة حكم، وتشكلت على خلفيته تحالفات سياسية إقليمية ودولية، ولا زالت تفاعلاته مستمرة في صيرورة لا يبدو أن نهايتها ستكون قريبة.

وقد نالت مدخلات ومخرجات عملية السلام في الشرق الأوسط قسطاً وافراً من تلك الدراسات، سواءً كان ذلك بالاستعراض التاريخي السردي أو بتحليل مواقف أطراف الصراع. إلا أن هذه الدراسة تتميز من حيث عمق مضمونها، وتركيزها على طرح موضوع يلامس جذر الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، إلى جانب ندرة الدراسات التي تناولته بطريقة بحثية منهجية.

وقد تم اختيار موضوع الدراسة من منطلق الحرص على تقديم مقاربة تأليفية نسقية، تُقدم الفائدة والإضافة للمختص وصانع القرار، كما تُقدم مدخلاً جديداً لدراسة الموضوع، آملاً أن يفيد في ترشيد القرار الفلسطيني بالدرجة الأساسية بعيداً عن ردود الفعل غير المدروسة.

لذلك، لم تكن الفائدة المرجوة من هذه الدراسة تقديم رواية سردية عن الموضوع، وإنما بحثه كظاهرة سياسية لها قواعدها الداخلية، التي تضبط توازنها وحركتها ومختلف عوامل ومتغيرات بيئتها الداخلية والخارجية، من خلال فهم وتحليل العقل السياسي الإسرائيلي، بما يحتكم إليه من قواعد وقيود جوهرية متراكمة تعكس منظومته العواملية المرجعية؛ التاريخية، والدينية، والأيدولوجية، وما يصاحبها من متغيرات تؤثر في سياسة إسرائيل. الأمر الذي يساهم في تفسير أسباب فشل جهود التسوية السياسية السلمية بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي خلال العقدين الماضيين، على

الرغم من الجهود الإقليمية والدولية، غير المسبوقة، التي بُذِلت لتحقيق تلك التسوية دونما طائل. كما ويستشرفُ آفاقاً جديدة لحلولٍ أخرى محتملة.

**مشكلة الدراسة وأسئلتها:**

هناك الكثير من التساؤلات المطروحة بشأن سياسة الحركة الصهيونية، إزاء التعامل مع الشعب الفلسطيني. حيث حاولت منذ بدايات الصراع، إنكار وجوده، وفسخ روابطه التاريخية بوطنه، والتعامل معه كمجموعات سكانية لا ترقى لمستوى الشعوب، وتنكرت لحقوقه السياسية، واعتبرته لاحقاً تهديداً وجودياً لجوهر الفكرة الصهيونية.

وعلى ضوء ذلك، يمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال طرح سؤال الدراسة الرئيس: ما السياسات الإسرائيلية المتبعة في إنكار وجود الشعب الفلسطيني؟

وينبثق عن السؤال الرئيس، السؤالان الفرعيان التاليان:

- ما المرتكزات التاريخية والدينية التي تستند إليها الحركة الصهيونية لإثبات أحقيتها في فلسطين؟
- ما المرتكزات السياسية التي تستند إليها الحركة الصهيونية لإثبات أحقيتها في فلسطين؟

**التصميم والمنهجية:**

قام الباحث بتحليل المفاهيم والنصوص والوثائق الواردة في الدراسة وفق منهجية البحث النوعي التحليلي غير التفاعلي وبأسلوب التحليل النظمي لملائمته هذا النوع من الدراسات ذات الأبعاد التاريخية والسياسية والقانونية، حيث يُعتبر هذا الأسلوب العلمي من أحدث الأساليب نسبياً، ويعتمد على التجريد كأداة بحثية، وبناء النماذج كضرورة تتطلبها معالجة المتغيرات المتعددة في الإطار التحليلي.

ويُركز هذا الأسلوب على النظرة الشمولية للظواهر محل الدراسة، آخذاً بعين الاعتبار جميع الأبعاد والعناصر والمكونات للظاهرة، في محاولة منه للإلمام بمجمل العوامل والمتغيرات المؤثرة فيها. إذ يفترض أن هناك أسباباً وعوامل ومتغيرات متعددة خلف كل ظاهرة، كما أنه لا ينظر إلى فعل وتأثير كل منهما على حدة، وإنما إلى فعلها أو فعل بعضها في حالة تفاعل، على اعتبار أنها مجموعة متفاعلة تُقيم بينها علاقات، ومن هذه العلاقات وفي خضم ذلك التفاعل يتولد السبب ويتكون، وبعض هذه العوامل والمتغيرات قد تؤثر في عنصر معين، ولكنها لا تستطيع التأثير في عنصر آخر، نظراً لعدم ترافقها مع عوامل ومتغيرات أخرى[1].

[1] ناصر محمد ناصر، **البحث العلمي وأطره وأدواته ومناهجه**، صنعاء: عاصم للطباعة والنشر، 2003، ص33-34.

وقد أخذت الدراسة بهذا الأسلوب وفقاً لنموذج **"دافيد أستون"**، المعروف باسم "نموذج المخلات والمخرجات"[2]، حيث أقام "أستون" نظريته السياسية على فكرة النظام، وهي تعني بالنسبة إليه "أن الحياة السياسية جسد من التفاعلات ذات الحدود الخاصة التي تحيطها نُظم اجتماعية تؤثر فيها بشكل مستمر"[3].

ويُركز **"أستون"** اهتمامه على العناصر والمؤثرات المحيطية التي تؤثر على النظام السياسي، أو ما تسمى المدخلات، وعلى ما يصدر من ردود فعل بعد تلقيه هذه المؤثرات أو ما تسمى المخرجات. فالتحليل النظمي في نظره يهتم بهذه الحلقات المتتابعة من الأفعال وردود الأفعال، ما بين المحيط والنظام السياسي وقدرة النظام على الحفاظ على توازنه والتكيف مع ما يرد عليه من مؤثرات خارجية، ليستوعبها ويُكيّفها بما لا يجعلها مخلة بالنظام[4].

**الأدب النظري والدراسات ذات العلاقة:**

سعت الحركة الصهيونية منذ تأسيسها إلى إنشاء وطناً قومياً لليهود في فلسطين، بوصفها أرض الميعاد ووطن الآباء والأجداد الأوائل. واستنفرت لأجل ذلك جميع أساطيرها، ومخزوناتها الدينية والتاريخية، ومكنوناتها الفكرية والسياسية، مبلورة أيديولوجية صهيونية، مدعمة بخطط عمل، وتحالفات دولية، وموارد مالية، وأدوات تنفيذ.

تحرك قادة الحركة الصهيونية بشكل عدائي في كل الاتجاهات وسلكوا مختلف الدروب لتذليل وإزالة العقبات التي تعترض طريق تحقيق حلمهم وتحويله إلى حقيقة ملموسة، وفي مقدمة هذه العقبات حقيقة وجود الشعب العربي الفلسطيني على أرض وطنه. فما كان منهم إلا اختلاق الأفكار والأعذار والمقولات التي تُنكر وجود ذلك الشعب "الأسطوري"، والادعاء بأن فلسطين أرض خالية بلا شعب، وبالتالي، من على وجه البسيطة أحق بها من أصحابها الأصليين وشعبها العتيق!

وقد ارتكزت استراتيجية الحركة الصهيونية سابقاً، وقادة إسرائيل بعد ذلك، في إنكار وجود الشعب الفلسطيني، والتنكر لحقوقه المقررة في القانون الدولي، إلى مرتكزين أساسيين.

المرتكز الأول: إثبات الأحقية التاريخية والدينية لليهود في فلسطين، من خلال فسخ الروابط التاريخية والقومية للفلسطينيين في وطنهم، وتشويه صورتهم والحط من مكانتهم، والتعامل معهم كمجموعات سكانية لا ترقى لمستوى الشعوب. وإثبات الحق الديني الحصري لليهود "كشعب الله

[2] David Easton, **A framework for Political Analysis**, Engle wood cliffs, N.J: prentice- hall. Inc, 1965, pp.1-143.

[3] David Easton, **The Political system: An Inquiry into the state of political science**, New York: Alfred A.Kropf.1953, pp.52-57.

[4] A framework for Political Analysis, ibd, pp.24-25.

See also David Easton, **A System Analysis of political life**, New York: John Wiley and sons, Inc, 1965, p.18.

المختار" الذي اصطفى له وورثه دون سواه "أرض الميعاد"، وحُرم عليه التفريط بأي جزء منها "للأغيار". وهذا ما سنتناوله في (الفقرة الأولى) -من البحث.

المرتكز الثاني: إثبات الأحقية السياسية لليهود في فلسطين، اعتماداً على الصحوة القومية والانبعاث السياسي الجديد، المتمثل بتأسيس الحركة الصهيونية، وبالاستناد إلى "وعد بلفور" عام 1917، ومقررات مؤتمر "سان ريمو" عام 1920، ومؤتمر عصبة الأمم عام 1922. وهذا ما سنبحثه في (الفقرة الثانية)[5]- من البحث.

**الفقرة الأولى: الأحقية التاريخية والدينية لليهود في فلسطين**

استغلت الحركة الصهيونية الروابط التاريخية والدينية القديمة لليهود في فلسطين، في محاولة منها لتحقيق هدفها السياسي المتمثل بإنشاء دولة يهودية في "أرض الميعاد"، وحتى تتمكن من مجابهة الوجود الفلسطيني المعيق لتحقيق هذا الهدف، عمدت الحركة الصهيونية إلى نفي أحقية الفلسطينيين (الأغيار) بتأسيس دولة لهم على تلك الأرض.

وبناءً عليه، سيتم في هذه الفقرة دراسة أبرز الأدبيات الصهيونية واليهودية بشأن أحقية اليهود في فلسطين من الناحيتين التاريخية والدينية.

**أولاً: الأحقية التاريخية**

[5] هناك من ينكر وجود أية أحقية تاريخية أو دينية لليهود في فلسطين، ويعتبر قبيلة بني إسرائيل ليست إلا قبيلة عربية بائدة عاشت في الجزيرة العربية، و"الفلشتيم" المذكورين في التوراة ليسوا الفلسطينيين، وأن مسرح أحداث التوراة هو الجزيرة العربية وأن احتلال فلسطين ليس إلا نتيجة إسقاط كاذب لهذا المسرح. للمزيد أُنظر: فاضل الربيعي، **فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم**، دمشق: دار الفكر المعاصر 2008.

= ومن زاوية أخرى، يقول المؤرخ اليهودي "شلومو ساند" في كتابه "اختراع الشعب اليهودي" أن اليهود المعاصرون لا ينحدرون من أصول اليهود القدامى الذين عاشوا في أرض إسرائيل القديمة، ولا يوجد ما يسمى "العرق" اليهودي، واليهود لا ينتسبون لمنبع واحد، بالضبط مثل المسلمين والمسيحيين المعاصرين. ويرى "ساند" أن فكرة الوعد بعودة الأمة اليهودية إلى الأرض الموعودة، هي فكرة غريبة تماماً على "اليهودية"، وهي لم تظهر إلا مع ميلاد "الصهيونية"، حيث تعامل اليهود من قبل مع الأراضي المقدسة كأماكن يتم تعظيمها، وليس من الضروري العيش في كنفها – تماماً مثلما يتعامل المسلمون مع أماكنهم المقدسة. للمزيد أُنظر: شلومو ساند، **اختراع الشعب اليهودي** (ترجمة: سعيد عياش)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2010.

ويرى "ساند" في كتابه الآخر "اختراع أرض إسرائيل"، أن الهدف من الأساطير التضليلية "الإسرائيلية" هو الترويج ومحاولة الإقناع بأن هذا الوطن فلسطين يعود إلى "الشعب اليهودي"، وإليه فقط، لا لأولئك "القلائل" (الفلسطينيين) الذين جاؤوا إليه بالصدفة لذا فهم "غرباء لا قومية ولا تاريخ لهم"، مثلما تروج الحركة الصهيونية و"إسرائيل". ويفند "ساند" الأساطير المتعلقة بتأكيد صلة "الشعب اليهودي" بفلسطين التي تم اختراع اسم لها هو "أرض إسرائيل". وعملت على تحويله، من مفهوم ديني، إلى مصطلح جيو–سياسي، وبموجبه في العرف الصهيوني أصبحت فلسطين هي "أرض إسرائيل التاريخية"، وبالتالي فهي "الوطن الموعود للشعب اليهودي" حيثما يتواجد في كل أنحاء العالم. للمزيد أنظر: شلومو ساند، **اختراع أرض إسرائيل** (ترجمة: أنطوان شلحت وأسعد زعبي)، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2013.

سيتم الحديث بشكل مفصل عن استراتيجية الحركة الصهيونية في إثبات الأحقية التاريخية لليهود في فلسطين وسعيها إلى إنكار وجود الشعب الفلسطيني، والإصرار على فسخ روابطه التاريخية والقومية في وطنه والعمل على ترحيله منه، بالإضافة إلى محاولة تشويه صورته والتعامل معه كمجموعات سكانية لا ترقى لمستوى الشعوب، وإثبات عدم جدارته بدولة، وذلك من خلال استعراض أبرز الأدبيات الإسرائيلية: الفكرية، والسياسية، والأكاديمية، والدينية التي تناولت الموضوع.

**أ. فسخ روابط الشعب الفلسطيني بوطنه:**

واجهت الحركة الصهيونية، في سعيها إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين مشكلة الوجود الفلسطيني. وبهدف الالتفاف على هذه المشكلة، روجت لفكرة "الأرض الخالية". ليس بمعنى أنها خالية من السكان، وإنما بمعنى أن سكانها من العرب لا يمتلكون أية روابط تاريخية أو قومية، تربطهم بالأرض التي يعيشون عليها، الأمر الذي يجعل من السهل رحيلهم، أو ترحيلهم عنها إذا استدعت الضرورة ذلك[6].

وقد عبرت مقولة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"[7]، التي تبناها قادة الحركة الصهيونية منذ عام 1897، عن سياسة الإنكار تلك، وأعلن القائد الصهيوني "**يسرائيل زانجويل**" مبكراً عن موقفه بشأن ترحيل الفلسطينيين، وقال: "علينا أن نستعد إما لطرد القبائل صاحبة الملكية، بحد السيف، كما فعل أجدادنا، وإما أن نعتاد على التعامل مع مشكلة وجود عدد كبير من السكان الغرباء، الذين اعتادوا ولقرون كثيرة على ازدرائنا"[8].

وقد بقي موقف "زانجويل" من الفلسطينيين ثابتاً، وظل يؤكد بأن ترحيلهم عن فلسطين يشكل شرطاً مسبقاً لتأسيس الدولة اليهودية، ومن واجب الحركة الصهيونية إقناعهم بالرحيل بصورة طوعية صوب الصحراء العربية. وكتب متسائلاً: "أليست جزيرة العرب ومساحتها مليون ميل مربع كلها لهم، ليس ثمة ما يدعو العرب إلى التمسك بهذه الحفنة من الكيلومترات، فمن عاداتهم وأمثالهم المأثورة طي الخيم والتسلل، دعهم الآن يعطون المثل بذلك"[9].

---

[6]–David McDowall, **Palestine and Israel: The Uprising and Beyond**, London: Tauris,1989, p. 186.

[7]– يتهكم إيلان بابه المؤرخ الإسرائيلي المنصف على تلك المقولة قائلاً: "أما الفلسطينيون السكان الأصليون فكانوا في نظر اليهود كائنات غير مرئية، أو – إن لم يكونوا كذلك – كانوا جزءاً من عقبات الطبيعة التي يجب التغلب عليها أو إزالتها". أنظر: إيلان بابه، **التطهير العرقي في فلسطين**، (ترجمة: أحمد خليفة)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007، ص 2.

[8]– نور الدين مصالحة، **طرد الفلسطينيين، مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882–1948**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992، ص 12.

[9]– المرجع السابق، ص 13. أنظر أيضاً: باروخ كيمرلنج، الفهم الاجتماعي لمصطلح الأمن القومي لإسرائيل، رمات جان: تربوت ديمقراطيت، 2001، ص 4–5.

ودعا قادة الحركة الصهيونية إلى انتهاج سياسة القوة لاعتقادهم أن القوة وحدها هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب لإجبارهم على الرحيل من وطنهم، وأخذوا يعتمدون عليها لتحقيق أهدافهم الاستيطانية[10]. وقد عبَّر "**مناحيم أوسيشكين**" أحد قادة الاستيطان اليهودي في فلسطين، عن فكرة نفي الوجود الفلسطيني من خلال تشتيته بقوله: "من المحتَّم بالدرجة الأُولَى، أن تكون جميع أراضي فلسطين أو معظمها مُلْكاً لشعب إسرائيل، وبدون حق ملكية الأراضي لا تكون فلسطين يهودية أبداً"[11]، وجاء على لسان "**فلاديمير جابوتنسكي**" أيضاً: "إن العرب يستطيعون التنازل عن فلسطين وشرق الأردن، وتكفيهم الأراضي الأخرى الشاسعة التي يقطنونها، وخصوصاً أن عدد سكانها قليل للغاية بالنسبة لمساحتها. وأكد على وجوب ترحيل العرب بالقوة؛ لأن ترحيلهم -بحسب رأيه-شرطاً أساسياً لتحقيق الصهيونية. فاقترح في رسالة بعث بها إلى السيناتور الأميركي "**غراسنبيرغ**" قائلاً إن تأسيس أكثرية يهودية في فلسطين يجب أن يتم عنوة عن إرادة الأكثرية العربية الموجودة في البلاد. وسيرعى عملية إنجاز هذه الأكثرية جداراً حديدياً من القوة اليهودية المسلحة لتحرير فلسطين بحد السيف[12].

وقد تمسك قادة إسرائيل باستراتيجية الإنكار تلك، وفي أحسن الأحوال كانوا ينظرون إلى الشعب الفلسطيني باعتباره جماعات ذات هويات قومية وسياسية مختلفة، أو أفراداً بلا هوية جماعية موزعين في مجموعات متفرقة، وليسوا شعباً ذا حق في تقرير المصير[13]. وليس أدل على ذلك من المقولة الشهيرة لرئيسة الحكومة الإسرائيلية السابقة "**جولدا مائير**": "لم يكن هنالك شيء يُسمى بالفلسطينيين. لم يكن هنالك شعب يُسمي نفسه بالشعب الفلسطيني وقمنا نحن بقلعهم من أرضهم وسلب وطنهم منهم. في الحقيقة لم يكن للفلسطينيين أي وجود"[14].

كما نفى "**بنيامين نتنياهو**" في كتابه "مكان بين الأمم"، ادعاء العرب بأن اليهود احتلوا "أرض إسرائيل"، من أيدي شعب عربي عاش عليها مئات السنين، وكان صاحبها الشرعي. وقال أنه منذ إلغاء الدولة اليهودية في العهد القديم وحتى بداية حكم البريطانيين، لم تكن للمنطقة المعروفة باسم فلسطين أية حدود باستثناء الحدود الإدارية. وكانت جزءاً إدارياً من ضمن كيان أكبر، ولم تكن دولة فلسطين العربية قائمة أبداً، حتى أن اسم فلسطين نفسه لم يكن مستعملاً بين العرب، وأن البريطانيين هم الذين أحيوه، ومنهم صادره العرب لأنفسهم، في القرن الحالي[15].

وتساءل "**نتنياهو**" عن زعماء الشعب الفلسطيني "الخيالي" خلال المائتي سنة من حكم المماليك، والأربعمائة سنة من الحكم التركي، وما هي المنظمات السياسية، أو المؤسسات الاجتماعية، أو

---

[10]– إبراهيم أبو لغد، **تهويد فلسطين**، (ترجمة: أسعد الزرو) ، الكويت: رابطة الاجتماعيين، 1972، ص 186.

[11]– أسعد عبد الرحمن ونواف الزرو، **موجات الغزو الصهيوني 1882 –1990**، عمان: دار اللوتس، 1990، ص 3.

[12]– ميخائيل بالمبو، **كيف طُرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948**، بيروت: دار الحمراء، 1990، ص 27.

[13]– شاؤول أرئيلي، على إسرائيل الاعتراف بالشعب الفلسطيني أولاً، **صحيفة هآرتس**، تل أبيب، 2013/04/30.

[14]– شاؤول أرئيلي، هآرتس ...، **مصدر** سابق.

[7]– بنيامين نتنياهو، **مكان بين الأمم: إسرائيل والعالم**. (ترجمة وتحقيق محمد عودة وكلثوم السعدي)، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ط[2]، 1996، ص62 .

المؤلفات الأدبية، أو الفنية، أو الدينية، أو حتى تبادل الرسائل الخاصة، التي ورد فيها ذكر أو تعبير عن علاقات ذلك الشعب بتلك الأرض المجزأة والمقسمة[16]؟

وأكد "**نتنياهو**" بأن كل تلك الأمور لا وجود لها نهائياً. فطيلة ذلك التاريخ الطويل، لم يُعرب السكان العرب في "أرض إسرائيل"، ولو تلميحاً، عن رغبتهم في الاستقلال القومي، أو فيما يُعرف اليوم بحق تقرير المصير. كان هنالك عرب عاشوا في "أرض إسرائيل"، مثلما عاش عرب آخرون في أماكن أخرى كثيرة. لكن لم يكن هناك شعب فلسطيني ذو وعي قومي أو هوية قومية، أو حتى مصالح قومية مشتركة، ومثلما لم تكن هناك دولة فلسطينية، لم يكن هناك شعب فلسطيني، أو ثقافة فلسطينية[17].

وادعى "**نتنياهو**" بأن هناك مئات التقارير التي أوردها شهود عيان أوروبيون وأمريكيون، زاروا البلاد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومن ضمنهم أدباء وعلماء آثار وجغرافيين، وغيرهم. ودوّن كثيرون منهم بالتفصيل، ما شاهدوه في مذكراتهم، وفي صحف تلك الفترة. وجميعهم، بدون استثناء، يُوردون أوصافاً ديمغرافية وطبيعية تؤكد أن فلسطين كانت شبه خالية من السكان[18].

وخلص "**نتنياهو**" إلى القول:

*إن الذين كانوا يلقبون أنفسهم "بفلسطينيين" في عهد الانتداب البريطاني، هم يهود فلسطين بالذات: جريدة فلسطين، والموسيقى الفلهرمونية الفلسطينية، كانتا يهوديتين. كما أن الجنود الذين خدموا في إطار اللواء اليهودي في الجيش البريطاني، كانوا يدعون من قبل البريطانيين "فلسطينيين"، وكان هذا المصطلح خاصاً آنذاك باليهود. صحيح أنه كان آنذاك إلى جانب "اليهود الفلسطينيين" "عرب فلسطينيين" أيضاً، بيد أنه في تلك الأيام لم يكن عرب "أرض إسرائيل" يرفعون شعارات قومية خاصة منفردة، وكانوا يؤكدون دائماً على انتمائهم للأمة العربية*[19].

وفي معرض تأكيد "نتنياهو" على يهودية أرض فلسطين وعدم استعداد إسرائيل للتنازل عنها، أو التفريط بأي جزء منها قال:

---

[16]– المرجع نفسه.

[2]–لمرجع نفسه، أنظر أيضاً:

Eli E. Hertz.“ Mandate for Palestine: The Legal Aspects of Jewish Rights".
http://www.mythsandfacts.org/conflict/mandate_for_palestine/mandate_for_palestine.htm

[18]– المرجع السابق، ص 54.

[19]– نتنياهو، مكان بين الأمم ...، مرجع سابق، ص159. أنظر أيضاً ما يقوله، **هيرتز** حول نفس الموضوع:
"في الواقع، قبل أن بدأ اليهود المحليين يطلقون على أنفسهم الإسرائيليين عام 1948، فإن لقب فلسطينيين كان يطلق بشكل حصري على اليهود. والمؤسسات التي أسسها المهاجرين اليهود الجدد في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك قبل استقلال إسرائيل. مثل: جيروزاليم بوست، التي تأسست في عام 1932، والبريد الفلسطيني حتى عام 1948. وبنك ليئومي كان يسمى الشركة الأنجلو فلسطينية حتى عام 1948. الوكالة اليهودية ذراع الحركة الصهيونية كانت تسمى في البداية الوكالة اليهودية لفلسطين. اليوم الأوركسترا الإسرائيلية، التي تأسست في عام 1936 من قبل اللاجئين اليهود الألمان الذين فروا من ألمانيا النازية، كانت تسمى في الأصل "فرقة فلسطين السيمفونية"، **هيرتز، الانتداب على فلسطين**، مصدر سابق.

*هذه الأرض، التي تخرج مع كل ضربة فأس في أرضها بقايا من الماضي اليهودي، والتي لا زال الاسم العبري القديم يُلمس في أسماء قراها؛ هذه الأرض التي أصبح فيها أبناء إسرائيل شعباً، والتي من أجلها ذرفوا بحراً من الدموع عبر التاريخ؛ هذه الأرض التي مع فقدانها حلّت باليهود المصائب والكوارث والمعاناة والشتات والقتل الجماعي، لم تجربها أية أمة من قبل، هذه الأرض التي من أجلها حارب اليهود ببطولة وإصرار لا مثيل لهما في تاريخ الشعوب. هذه الأرض، هي الأرض الأجنبية التي يريد زعماء العالم اليوم إغلاقها في وجه الاستيطان اليهودي، والتي يُطلب من إسرائيل التنازل عنها*[20].

ومن جانب آخر، يُنكر العديد من المستشرقين الإسرائيليين زعم الفلسطينيين بأنهم سكنوا البلاد منذ آلاف السنين، وبأنهم سبقوا اليهود الذين جاؤوا إليها محتلين. على اعتبار أنهم (الفلسطينيون) نسل الكنعانيين، أو اليبوسيين، أو الفلسطينيين القدماء؛ وأنهم أبناء هذه الأرض الأصليون التي أُحتلت آنذاك كما أُحتلت اليوم على أيدي اليهود. كما ويُنكر أولئك المستشرقون محاولة الفلسطينيين اختلاق تاريخ جديد إلى جانب محو التاريخ اليهودي وتزويره إلى حد التناقض المنطقي أحياناً؛ ليصبح الكنعانيّون الذين ذُكِروا في الكتاب المقدس عرباً فجأة، ويصبح "**يسوع**" هو الفلسطيني الذي دعا إلى الإسلام لا إلى المسيحية[21].

يُعرِف الباحث "**رافي يسرائيلي**" المختص في دراسات الإسلام، الصلة التي يصطنعها الفلسطينيون بالكنعانيين المذكورين في الكتاب المقدس بأنها متناقضة منطقياً: "إن أصل العرب القديم الذين جاءوا إلى البلاد هو شبه الجزيرة العربية، فمن هناك جاء أوائلهم، وهم الآن يقفون على رؤوسهم، فبدل أن يقولوا إنهم عرب هاجروا إلى أرض كنعان وحولوها أرض مسلمة، يجعلون أنفسهم أبناء كنعان"[22].

وينفي "**يسرائيلي**" وجود أية جذور للفلسطينيين في هذه البلاد، ويُدلل على ذلك بقوله: "توجد حتى في أسماء العائلات العربية آثار سافرة تُبين هجرتهم إلى هنا، ففي أم الفحم توجد أربع عائلات كبيرة أصلها من مصر. وكان في البلدة القديمة في القدس "حي المغاربة" للمسلمين الذين جاءوا من شمال إفريقيا ومن المغرب واستوطنوا (أرض إسرائيل). هذا إلى جانب أن الدولة العثمانية نقلت مجموعات من السكان من مكان إلى مكان كي تُحْسِن سيطرتها عليها. فقد جاءت إلى هنا بالشركس وهم مسلمون من القوقاز وأُسكنوا في هذه البلاد"[23].

واستخدم المستشرق "**نسيم دانه**" المتخصص بالصراع الديني بين اليهود والفلسطينيين، بعض نصوص القرآن الكريم لإثبات صلة اليهود بفلسطين وبأن الله عز وجل ورّثها لهم دون سواهم، فيقول:

[20]– المرجع السابق، ص57. أنظر أيضاً: أنطوان شلحت، بنيامين نتنياهو: "عقيدة اللاحل"، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014، ص 69-73.

[21]– نداف شرغاي، محاولة فلسطينية جديدة لتزوير التاريخ، **صحيفة إسرائيل اليوم**، تل أبيب،2014/2/7.

[22]– شرغاي، إسرائيل اليوم، مصدر سابق

[23]– المرجع نفسه.

*توجد عشرة مواضع في القرآن تقول إن الله أورث شعب إسرائيل هذه البلاد. وقد أُكد فيها جميعًا تقريباً ذلك الحق بل الواجب المفروض على بني إسرائيل أن يرثوها. وفي مقابل ذلك لا يوجد أي ذكر في القرآن يورث المسلمين أو العرب أو الفلسطينيين البلاد أو أية أمة أخرى ليست شعب إسرائيل. وإلى ذلك فإن الزعم الحالي وهو أن الشعوب التي احتل شعب إسرائيل الأرض منهم وهم الكنعانيون واليبوسيون والعمالقة كانوا شعوباً عربية – لا يتساوق مع حقيقة أن بني إسرائيل بحسب الإسلام نفسه قد أمرهم الله باحتلال هذه الأرض من تلك الشعوب بعد أن دنسوها بعبادة الأوثان*[24].

إن نظَر "**دانه**" في القرآن الكريم من جديد، جعله يستنتج أنه لا يوجد أساس لتعريف الفلسطينيين أنفسهم اليوم بأنهم كنعانيون. لأن أصل المسلمين الذين يعيشون هنا اليوم والذين تحول آباء آبائهم عام (622) ميلادي ليصبحوا مسلمين، هو في شبه الجزيرة العربية، وأن زعمهم أنهم من نسل الكنعانيين مرده هدفاً ذاتياً، لأن الله كما ورد في القرآن الكريم أمر بطرد الكنعانيين من البلاد بعد أن دنسوها.

يقول الباحث "**شاؤول بارتال**" من قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة "بار ايلان": "في كثير من كتب التاريخ الفلسطينية هناك تأكيد على الاحتلال العربي لفلسطين في القرن السابع عام 638 للميلاد، وهو احتلال جعل فلسطين أرضاً إسلامية منذ نحو (1300) سنة"[25].

ويُبين "**بارتال**" أن موجات الهجرة التي جاءت من شبه الجزيرة العربية، وبعد ذلك من شرقي الأردن وسوريا أيضاً، هي التي أدت إلى استيطان العرب في هذه البلاد؛ حتى في رام الله التي هي العاصمة الإدارية للسلطة الفلسطينية، فيرجع جذور سكانها العرب إلى عائلات هاجرت إلى هناك من الأردن في نهاية القرن الخامس عشر[26].

ويذكر "**بارتال**" أن أبحاثاً مختلفة قام بها على مرِّ السنين "**موشيه برافر**" و"**جدعون كارسل**" وآخرون، بينت بوضوح أن أصل أكثر العائلات العربية التي سكنت قرى السهل الساحلي والمنطقة التي أصبحت "دولة إسرائيل" بعد ذلك، كان من السودان وليبيا ومصر والأردن. وتشهد أبحاث أخرى على موجات هجرة كبيرة من دول عربية في فترة الانتداب[27].

---

[24]– المرجع نفسه. أُنظر أيضاً: نسيم دانه، عشرة مواضع في القرآن تقول إن الله أورث شعب إسرائيل هذه البلاد، **القناة السابعة في التلفاز الإسرائيلي**. 2014/02/10.

[25]– المرجع نفسه.

[1] يدل بحث قام به الدكتور بارتال مع الدكتورة رفكا شفاك ليسك على أن العائلات الأربع المركزية التي يتألف منها سكان أم الفحم وهي محاجنة وجبارين ومحاميد واغبارية أصلها عائلات هاجرت إلى فلسطين منذ القرن السابع عشر فيما بعد من السعودية واليمن وسوريا. وبعد ذلك فقط في القرن التاسع عشر انضمت إليهم عائلات كثيرة هي في الأصل من مصر وشرق الأردن. شرغاي، إسرائيل اليوم، مرجع سابق.

[2]– كتب الصحفي بن درور يميني، مقالاً بعنوان: يوم النكبة والخداع، نشر في صحيفة معاريف ، تل أبيب، 2010/5/15، وأكد على نفس المعنى حيث قال: "أتى اليهود (أرض إسرائيل) التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية، في موجات كثيرة غير كبيرة، قبل الهجرة الأولى. حيث لم يكن في تلك السنين "فلسطينيون" ولم تُوجد "فلسطين" ولم تكن "هوية فلسطينية". ولم يكن في الأساس حداً حقيقياً بين العرب من سورية أو مصر أو لبنان أو الأردن. كانت هنالك حركة دائمة للناس. في السنين التي احتل فيها محمد علي وابنه هذه المنطقة 1831–1840، أرسلا عرباً كثيراً من مصر إلى غزة ويافا ومدن أخرى. يوجد جدل بين المؤرخين في عدد العرب الذين سكنوا في تلك السنين داخل "فلسطين"، التي كانت في واقع الأمر لوائين

ويخلص "**بارتال**" بناءً على ذلك إلى القول:

*إن الفلسطينيين ليسوا هم الفلاحون الذين كانوا يسكنون فلسطين حقباً طويلة، بل هم في الأساس مهاجرون جاءوا إلى هنا حديثاً، وقُبيل نهاية القرن التاسع عشر فقط بدأت هذه البلاد تزهر على إثر دخول عامل جديد هو الصهيونية، وكانت النتائج مدهشة، ففي عام 1887، كان عدد سكان البلاد 141 ألف مسلم من السكان المستقرين، عُرف 25 بالمئة منهم على الأقل بأنهم جدد جاءوا من مصر في الأساس منذ وقت قريب*[28].

أما "**جون بيترز**"، مؤلفة كتاب "منذ الأزل"، فقد وجدت: "أن الوضع ليس على الخصوص، وضعاً دُفع فيه أو أُبعد عن أرضه شعباً عربياً كثيفاً كان موجوداً منذ الأزل، بل الوضع عكس ذلك تماماً، وهو أن الوجود اليهودي اجتذب إليه مهاجرين عرباً، وأن أرض اليهود التي كانت مخصصة لتكون وطناً لهم سُلبت منهم مع وصول مهاجرين عرب"[29].

وتُرجع "**بيترز**" الفضل في وجود العرب في هذه البلاد، إلى الاستيطان اليهودي الذي طور الإمكانات الاقتصادية، ومستوى الصحة والطب فيها. وهكذا نشأ وضع أصبح معه عدد عرب فلسطين الانتدابية عام 1948، نحواً من 1.3 مليون إنسان، في حين كان عدد أفراد الاستيطان اليهودي 600 ألف إنسان فقط برغم أمواج هجرة كثيرة جاءت إلى البلاد[30].

واستشهدت "**بيترز**" بقول "فرنكلين روزفلت" رئيس الولايات المتحدة عام 1939، بأن هجرة العرب إلى فلسطين منذ عام 1921، فاقت بقدر كبير هجرة اليهود في تلك الفترة. وكذلك تطرقت لما قاله "**ونستون تشرتشل**" عام 1939، بشأن الهجرة العربية الجماعية إلى "أرض إسرائيل" في تلك الفترة. حيث تدفقوا جموعاً إلى البلاد وتكاثروا فيها، وفاقوا كل ما كان يستطيع يهود العالم أن يزيدوا السكان اليهود به[31].

وتخلص "**بيترز**" اعتماداً على نتائج دراستها إلى أنه: "وُجد مع الشعوب التي عُدت عربية فلسطينية من أبناء هذا المكان، شعوب أخرى كاليونانيين، والسوريين، واللاتين، والمصريين، والأتراك، والأرمن،

---

يخضعان لسورية كجزء من الدولة العثمانية. أكثر الشهادات جدية فيما كان قبل الهجرة الأولى هي شهادة منسية أو ربما أُنسِيَت. يصعب أن نجد لها ذكراً عند كثير من المؤرخين الذين يبحثون عن تلك الفترة. الحديث عن وفد استطلاع من باحثين من بريطانيا، جاس (أرض إسرائيل) الغربية في السنين 1871– 1878 من دان إلى بئر السبع، ونشر خريطة استيطان دقيقة أصيلة في 26 جزءاً نادرة في نوعها وصدقها. لقد وجد الباحثون هنا عدداً قليلاً من البلدات الضئيلة. وقد نشر الصحفي **زئيف جليلي** تحقيقاً شاملاً على أثر نشر الخريطة، ووجد أن حيفا مثلاً كانت بلدة مساحتها 440 متراً في 190 متراً. لا أكثر. وكانت عكا والناصرة أكبر كانت مساحتهما 600 متر في 300 متر. وكانت مساحة يافا 540 متراً في 240 متراً. ووقعت القدس بين الأسوار وكانت ضخمة نسبياً في حدود ألف متر في ألف متر. وكان عدد السكان العام على نحو من مائة ألف نسمة. **صحيفة معاريف**، تل أبيب، 2010/5/15.

[28]– شرغاي، إسرائيل اليوم، مرجع سابق.

[29]– **Joan Peters**, **From Time Immemorial: The Origins of the Arab–Jewish Conflict over Palestine**, Harper&Row, 1984. P. 221 .

[30]– Peters, **From Time Immemorial…, ibd,** p. 224–227.

[31]– Ibd, p.229.

والإيطاليين، والفرس، والأكراد، والألمان، والأفغان، والشركس، والبوسنيين، والسودانيين، والجزائريين، والتتر أيضاً"، مما لا يُعطِ الحق للفلسطينيين بالادعاء أنهم أصحاب هذه البلاد[32].

**ب. مجموعات سكانية لا ترتقِ لمستوى الشعوب:**

انطلاقاً من سعي الحركة الصهيونية لإنشاء دولة يهودية مستقلة ومنفصلة عن بيئة المشرق العربي، وإلى جانب تركيزها على نفي وجود شعب فلسطيني قائم بذاته وبالتالي عدم جدارته بدولة خاصة به، فقد اتَبَعت استراتيجية ترمي إلى تشويه صورة الفلسطينيين، ووصمهم بأحكام مسبقة لتبرير كراهيتهم، وإثبات عدم ارتقائهم لمستوى الشعوب المتحضرة؛ وبالتالي عدم أهليتهم للتمتع بحقوق سياسية. وقد أسهم ذلك في تشكيل اتجاهات اليهود نحو الفلسطينيين العرب، لا بل اتجاهات غير اليهود في أنحاء العالم والتي كانت في غالبيتها العظمى اتجاهات سلبية[33].

وقد رسم الأدب العبري الحديث صورة العربي ما قبل عام 1948، انطلاقاً من ثلاثة اتجاهات[34]: اعتبر الاتجاه الأول أن فلسطين أرضاً خالية من السكان، ولذا فإن المستوطنين اليهود على استعداد لاستيطانها وتعميرها. وقد اعترف الاتجاه الثاني بأن هناك سكاناً يعيشون في فلسطين، ولكنهم يتصفون بالهمجية، والوحشية، ويقطنون الصحراء. أما الاتجاه الأخير فقد افترض أن العرب سيصبحون أقلية في فلسطين لأنها "أرض يهودية"، ولا تعني لأي شعب أيا كان ما تعنيه للشعب اليهودي الذي سيعود إليها حتماً[35].

وقد بنت الحركة الصهيونية سياساتها الاستيطانية في ذلك الوقت استناداً إلى تلك الأفكار، وجندت في سبيل تنفيذها كل ما توافر لديها من أدوات سياسية وإعلامية وأدبية وتربوية[36].

وغالباً ما صورت القصص العبرية العلاقة بين "اليهودي" والعربي على نحو يُظهر "اليهودي" مظلوم ومعتدى عليه في حين أن العربي ظالم ومعتدٍ، يمد "اليهودي" كلتا يديه إلى العربي عارضاً السلام والعربي يرفض السلام، ويلجأ العربي إلى السلاح ويستغل ضعف الإنسان ويحترم القوة، وإذا احترم العربي إنساناً فإنه لا يحترمه إلا عن خوف[37]. وبكلمات أخرى، فإن العربي لا يفهم إلا لغة القوة فقط[38].

---

[3]- Ibd, pp.230-234.

[33]- بديعة أمين، **الأسس الأيديولوجية للأدب الصهيوني**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط[1]، 1989، ص 203-205.

[34]- عبد الوهاب الجبوري، تشويه صورة العربي في أدب الحرب العبري. الرابط الإلكتروني: www.up.edu.ps/ocw/upinar/moodledata/1019/class11.doc.

[35]- المرجع نفسه.

[36]- الجبوري، تشويه صورة العربي...، مرجع سابق.

[37] - غانم مزعل، **الشخصية العربية في الأدب العبري**، عكا: دار الأسوار، 1985، ص 33-43.

[38]- الجبوري، تشويه صورة العربي...، مرجع سابق.

وقد ذكر "**جرشون شيكيد**" المختص في الأدب العبري: "هناك أدباء عبريّون صوروا العربي بصورة نمطية، كساكن صحراء، راعي جِمال تستولي عليه دائماً غريزة الثأر والانتقام، والشعور بالأصالة، وحب الأُبّهة والاعتزاز والشهرة"[39].

**ثانياً: الأحقية الدينية**

استندت الأيديولوجية الصهيونية في إثبات أحقية اليهود دون سواهم في فلسطين، إلى ما ورد في نصوص العهد القديم[40]؛ ومنها: "وأعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكاً مؤبداً ويكون لهم إله"[41]، وفي نص آخر: "في ذلك اليوم قطع الرب مع أبراهام ميثاقاً، لنسلك أُعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات"[42].

وباعتبار أن التوراة هي نبراس الديانة اليهودية ودستورها الأسمى، فمن الطبيعي أن يتأثر معتنقو هذه الديانة في سلوكهم لتحديد أُطر علاقاتهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم، بما وجدوه مُدوناً في كتابهم المقدس بأنهم "شعب الله المختار"[43]. الأمر الذي شرع لهم كراهية العرب، وبرر تطبيق شرائعهم الدينية رغم ما قد يترتب عليها من فظائع.

[39]– مزعل، الشخصية العربية في الأدب العبري، مرجع سابق، 122–123.

[40]– فيما يلي بعض نصوص التوراة (**أسفار العهد القديم**) التي تُعطي اليهود حقاً في ما بين الفرات والنيل، وتكررت في مواطن شتى في التوراة:

أن نوحاً قال لسام (يعتبره اليهود أباهم): "ملعون كنعان (جد قبائل فلسطين الكنعانية) عبد العبيد يكون لأخويه، فقال: مبارك الرب إله سام، وقال: ليكن كنعان عبداً لهم" (**سفر التكوين**/ الإصحاح 9).

ويرى اليهود أحقية بني إسرائيل المطلقة بأرض كنعان لأن الله قال لإبراهيم " أُقيم عهدي بيني وبينك وبين نفسك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً، لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك، أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً" (**سفر التكوين**/ الإصحاح 12).

ويرون أن هذا الوعد خاص بأبناء إسحاق دون أبناء إسماعيل.

فقد جاء في التوراة قولها: "ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية" (**سفر التكوين**/ الإصحاح 17).

وفي نص آخر تقول التوراة: "يدعو اسمه إسحاق وأُقيم معه عهداً وأبدياً لنسله من بعده" (**سفر التكوين**/ الإصحاح 17).

وتوضح التوراة حدود الأرض التي منحت لنبي إسرائيل "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (**سفر التكوين**/ الإصحاح 15).

ولا يستطيع مؤمن بالتوراة إلا أن يعمل لتحقيق هذا الأمر المزعوم، وإلا فلسوف يكون ملعوناً من الله كما زعمت التوراة "كن سيداً لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين، ومباركوك مباركين" (**سفر التكوين**/ الإصحاح 27).

يرى اليهود استيطان فلسطين حقاً دينياً، كيف لا والتوراة تقول عن أرض فلسطين "الشعب الساكن فيها مغفور الإثم" (**سفر إشعيا**/ الإصحاح 33).

[41]– **سفر التكوين**، الإصحاح السابع عشر، الآية 8.

[42]– **سفر التكوين**، الإصحاح الخامس عشر، الآية 18.

[43]– Leslie S. Clement**, the Riftin Israel**, London: Routledge & Kegan Paul – 1971, p12.

### أ. تشريع كراهية العرب:

دأب رواد الفكر الديني اليهودي، وحاخامات إسرائيل على اختلاف أصولهم الطائفية وتنوع مذاهبهم الفقهية، على نفي أي حق للعرب في فلسطين، والتحريض ضدهم، وإذكاء نار الحقد والكراهية تجاههم. وتمثل تصريحات الحاخام اليهودي الشرقي "**عوفاديا يوسف**" التي أدلى بها في نيسان عام 2001، ووصف فيها العرب بأنهم "أولاد أفاعي"، وأن الله ندم لأنه خلقهم وبالتالي من الواجب قتلهم، نموذجاً من كم هائل من الأدبيات التي رددها رواد الفكر اليهودي الأوائل، ومن بعدهم الكثير من المسؤولين والمثقفين والأدباء اليهود، مستندين في ادعاءاتهم تلك على التوراة والتلمود وسائر النصوص التراثية والدينية التي تشكل العمود الفقري في مناهج الدراسة والتعليم والثقافة اليهودية، ومن أشهر تلك المقولات "العربي الجيد هو العربي الميت"[44].

يقول "**موشيه منوحن**": "علمونا في المدرسة الدينية أن نكره العرب وأن نحتقرهم، وعلمونا كذلك أن نطردهم بقوة السلاح إن تطلب الأمر ذلك، على اعتبار أن فلسطين هي بلادنا لا بلادهم"[45]. أما الزعيم الصهيوني "**زئيف جابوتنسكي**" فيرى أن التربية الصحيحة ليست تعليم القراءة والكتابة، ولكنها التدرب على إطلاق الرصاص والقتل[46]. وقد جمَّلَ "**بن غوريون**" صورة قتل العرب حين قال:"القتل هو الوسيلة المثلى لتحرير الطاقة الكامنة لدى الجندي، وممارسة القتل هي الشكل الوحيد المقبول للتسامي بالغرائز المكبوتة"[47]، وهذا قريب مما قاله "**موشيه ديان**": "قتل العرب هو قدر جيلنا"[48]، فيما قال "**مناحيم بيغن**": "من الدموع والنار والدماء والرماد خُلق صنف جديد من البشر لم يعرفه العالم منذ أكثر من 1800 سنة وهو اليهودي المحارب"[49]. أما الأدباء والكتّاب العبريون فلا يختلفون كثيراً في كتاباتهم ونتاجاتهم الأدبية عن كتابات وشروحات رواد الفكر اليهودي ومن ثم قادة إسرائيل على مرِّ السنين فيما يتعلق بنظرتهم إلى العرب[50].

### ب. الشرائع تبرر الفظائع:

يحظر على اليهود بموجب أحكام التوراة تسليم أي جزء من "أرض إسرائيل" إلى "الأغيار"، وجزاء من يفعل ذلك الموت، وهذا ما أكده "**إيغال عامير**"، قاتل رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق "إسحق رابين"، أثناء التحقيق معه في جهاز الأمن العام الإسرائيلي، حيث قال: "إن حكم المطارد، وحكم المُسَلِّم الذي يسلم يهودياً أو (أرض إسرائيل) للأجنبي هو تشريع إلهي، وحينما تكون هناك شريعة إلهية، لا يوجد ما يسمى بالمشكلة الأخلاقية، ولو أنني كنت أقوم باحتلال البلاد في العهد القديم،

---

[44]– يحيى أبو عودة، **جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في إسرائيل وأثرها على اتجاهات التسوية**، رام الله: مركز رام الله للدراسات، 2012، ص7–9.

[45] – Moshe Menuhin,**The Decadence of Judaism in Our Time**, Exposition Press, First edition (1965),p.83.

[46]– خليل السواحري، "ولد ليقتل"، **صحيفة الدستور**، عمان، 2002/8/1.

[47]– المرجع السابق.

[48]–الجبوري، تشويه صورة العربي...، مرجع سابق.

[49] – Manachem Begin, The Revolt, (Translator: Samuel Katz), New York: Tolmich–EBooks, 2013, P. 16.

[50]– السواحري، "ولد ليقتل"، مرجع سابق.

لقتلت أطفالاً وأولاداً مثلما هو وارد في (سفر يشوع)[51]، كنت سأفعل ذلك دون أن أشعر بأي وزرٍ أخلاقي، رغم أن قتل الأطفال والأولاد يبدو وزراً أخلاقياً لأول وهلة، ولأن الأمر يتعلق بالشرائع، فلا أشعر بأي تأنيب ضمير أخلاقي"[52].

كما أن المذبحة التي نفذها الطبيب "**باروخ غولدشتاين**" في الخامس والعشرين من شباط عام 1994، في الحرم الإبراهيمي بمدينة الخليل، هدفت للوصول إلى نفس الهدف الذي سعى إليه "**إيغال عمير**"، باغتياله "**رابين**"، وهو: تدمير مسيرة السلام التي قد تفضي إلى تسليم أجزاء من "أرض الميعاد" للفلسطينيين، وذلك امتثالاً لأحكام التوراة من وجهة نظر غُلاة التطرف الديني اليهودي[53].

ولم يَنْجُ "**آرائيل شارون**" نفسه من الذم والتحقير، والتحريض على قتله، بعد أن أعلن عن نيته إخلاء قطاع غزة، حيث استخدم اليمين المتطرف "سلاح الدين" لإحباط خطة الفصل أُحادي الجانب، ففي 29 حزيران عام 2004، ألقى الحاخام "**أفيغدورنبنزال**" خطاباً في القدس الشرقية ضد "شارون" لفظ فيه مصطلح "دين روديف" وتعني: حكم المطارد. وهو ذات اللفظ الذي استخدم قبل ذلك ضد "رابين"، ويعني هذا التعبير مشروعية ملاحقة ومطاردة وقتل كل من يتنازل عن جزء من "أرض إسرائيل" لغير اليهود[54].

وفي 16 أيلول عام 2004، قال الحاخام "**يوسف ديان**" من مستوطنة "بساجوت": أنه مستعد لإصدار فتوى بقتل "شارون" كما فعل في حينه مع "رابين" (كان قد أصدر فتوى "طُقس الضرب بسياط من نار"، أو "بولسادينورا " بلغة التوراة؛ وتعتبر هذه الفتوى عقاباً لكل من يحاول أن يخطو

---

[51]– ورد في سفر يشوع: "وعاد يشوع في ذلك الوقت فاستولى على حاصور وقتل ملكها بالسيف، لأن حاصور كانت قديماً رأس جميع تلك الممالك وضربوا كل نفس فيها بحدّ السيف محرمين إياهم، ولم تبق نسمة وأُحرق حاصور بالنار. واستولى يشوع على جميع مدن أولئك الملوك مع ملوكها، وضربهم بحد السيف وحرقهم كما أمر موسى، عبد الرب، فأما المدن الواقعة على تلالها فلم يحرقها إسرائيل بالنار إلا حاصور وحدها فأحرقها يشوع، وجميع غنائم تلك المدن وبهائمها، اغتنمها بنو إسرائيل لأنفسهم. وأما البشر، فضربوهم جميعاً بحدّ السّيف، حتى أبادوهم ولم يبقوا نسمة". أنظر: سفر يشوع، الإصحاح 11, آية 10. وقد جاءت نصوص "التلمودية" مكملة لهذا التحريض ضد "الأغيار". ومن ضمن تلك النصوص التلمودية: "الخارج عن دين يهود حيوان على العموم فسمّه كلباً أو حماراً أو خنزيراً. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان. والمرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة يهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية. كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذ فإذا مات خادم يهودي أو خادمته وكانا من المسيحيين فلا يلومك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد أنساناً ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له". أنظر: **التلمود، الكتاب الثالث**، فساد الآداب، الفصل الأول (القريب).

[52]– أمنون كابليوك، **إسحق رابين اغتيال سياسي**، (ترجمة: بدر عقيلي)، عمان: دار الجليل للنشر، 1997، ص58.

[53]– المرجع السابق، ص89. للمزيد أنظر: عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية**، الكويت: عالم المعرفة، جزء1، جزء2، 1978، وأنظر كذلك: جواد التباعي، "الحركة الصهيونية، التعريف، ظروف النشاط، الأهداف السياسية"، **الحوار المتمدن**، العدد 51، (2014/09/24). وأُنظر أيضاً: عبد الوهاب المسيري، **مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي: جذوره ومساره ومستقبله**، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2003.

[54]– نداف شرغاي، حكم المطارد، **صحيفة معاريف**، تل أبيب، 2004/6/30. للمزيد أنظر: محمد جبريني، **المشروع السياسي لآرائيل شارون: خطة فك الارتباط من جانب واحد**، جامعة القدس، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006، ص63.

خطوات تتعارض مع النظام الكوني وفق مفاهيم الديانة اليهودية، وموافقة حاخام على إجراء طُقس كهذا لشخص ما، تعني إهداراً لدم ذلك الشخص)[55].

وفي 9 كانون ثاني عام 2005، وصف الحاخام "**مردخاي إلياهو**" قرار الحكومة الإسرائيلية بالانفصال عن قطاع غزة، بأنه فضيحة وعار بحسب التوراة، واعتبر تنظيم خطة الإخلاء أمراً محظوراً؛ وذلك "لأن (أرض إسرائيل) عطية من الله، ولأنها ستحضر القتلة وتُعرض سكان الدولة للخطر". ودعا كل يهودي لتقديم العون بجسده وماله وروحه ضد الإخلاء[56].

**الفقرة الثانية: الأحقية السياسية لليهود في فلسطين**

يستند قادة الحركة الصهيونية في إثبات أحقيتهم السياسية في فلسطين إلى تبلور ونضوج الوعي القومي السياسي لليهود والتعبير عنه من خلال الأيديولوجية الصهيونية بتياراتها المختلفة، وفي مقدمتها الصهيونية السياسية بقيادة "**ثيودور هرتسل**" الذي تطلع لتأسيس دولة يهودية في فلسطين تكون بحماية الدول الأوروبية[57]. وإلى "وعد بلفور" عام 1917؛ الذي جاء منسجماً مع أهداف الحركة الصهيونية، ومنح اليهود حقوقاً سياسية في فلسطين، في حين اكتفى بالإشارة إلى الحقوق المدنية والدينية لبقية السكان[58]. وقد تجسدت أهداف الحركة الصهيونية وأخذت تعبيراتها العملية في مؤتمر "سان ريمو" عام 1920، وفي مؤتمر عصبة الأمم عام 1922، حيث تم المصادقة على "وعد بلفور" واعتماده كمكون أساسي في صك الانتداب البريطاني على فلسطين.

سنتناول في هذه الفقرة الحقوق السياسية التي منحتها الدول الكبرى لليهود في فلسطين بما يخدم مطامعها الاستعمارية، وتطبيقاً سياسياً لما جاء في "وعد بلفور" (أولاً)، وسنبحث في التعهدات التي قُدمت للحركة الصهيونية في مؤتمر "سان ريمو"، ومؤتمر عصبة الأمم بشأن تمكين اليهود من فلسطين، والحيز الجغرافي الذي سيخصص لإنشاء الوطن القومي لليهود كتنفيذ عملي لِـ "وعد بلفور"، وتحقيقاً للتطلعات الصهيونية بتأسيس الدولة اليهودية (ثانياً).

**أولاً: الحركة الصهيونية ووعد بلفور**

---

[55]- وديع عواودة ،مصادقة الكنيست على خطة "فك الارتباط" تواصل إثارة زوبعة سياسية في إسرائيل. **المشهد الإسرائيلي**، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2005.
http://www.almash-bad.org/viewarticle.asp?articalid=2059.09.01.2005.

[56]– مردخاي إلياهو،"قرار الحكومة الإسرائيلية بالانفصال عن قطاع غزة، فضيحة وعار"، **صحيفة يديعوت احرونوت**، تل أبيب، 2005/1/9.

[57]– قال هرتزل: " سنقيم هناك جزءاً من جدار دفاع عن أوروبا في آسيا ونكون مركزاً متقدماً للحضارة ضد البربرية وسنبقى دولة محايدة على اتصال مع أوروبا، التي عليها ضمان وجودنا". ثيودور هرتزل، الدولة اليهودية، مرجع سابق، ص2. وفي هذا الصدد كتب هرتزل أيضاً: " إن المسألة اليهودية ليست مسألة اجتماعية أو دينية، بل هي مسألة قومية، لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة". مقتطف في عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة العاشرة 1990 ص 38.

[58]– أبو عودة، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في إسرائيل وأثرها على اتجاهات التسوية، مرجع سابق، ص11.

**أ. الحركة الصهيونية والمطامع الاستعمارية الأوروبية:**

يُجمع الكثير من الباحثين في تاريخ الصهيونية وإسرائيل، على أن الصهيونية كفكرة ودعوة ومشروع نشأت وانتشرت بين الأوروبيين من غير اليهود، واستغرقت عملية بلورتها ومن ثم بثها نحو الأوساط اليهودية للقبول بها والموافقة عليها واعتمادها أكثر من مائتي عام من الجهد والعمل الديني والفكري والسياسي والجغرافي المتواصل، تم بعدها تهويد الفكرة مع عقد المؤتمر الصهيوني الأول الذي ضم قادة الجماعات اليهودية المتصهينة[59].

يشتق اسم "الصهيونية" من كلمة "صهيون" التوراتية وهو الاسم المرادف التقليدي "لأورشليم القدس" و "أرض إسرائيل"، والصهيونية وفقاً للتعريف الإسرائيلي الرسمي، هي أيديولوجية تمثل التطلع المستمر لليهود في أنحاء العالم إلى استرداد وطنهم القومي التاريخي "أرض إسرائيل"[60]. وترجع جذور الأمل اليهودي في العودة إلى وطنهم القومي إلى الفترة التي هاجر بها أسلافهم إلى بابل قبل حوالي 2500 سنة[61].

وقد جمعت الصهيونية التي نشأت في القرن التاسع عشر فكرة العودة القديمة وحركة ناشطة وجعلتهما مؤهلتين معاً لتحقيق هذا الهدف[62]. ويتمثل جوهر التفكير الصهيوني في مبدأ كون "أرض إسرائيل" المنشأ التاريخي للشعب اليهودي والإيمان بأن تواجد الشعب اليهودي في أي مكان آخر يعني العيش في المنفى[63].

ويُعتبر الكاتب والناشط اليهودي الصهيوني "**ناثان بيرنبام**" أول من صاغ لفظ الصهيونية كإسم أو مفهوم معبراً عن الفكرة والمشروع يخفي الجذر الأوروبي غير اليهودي لها. وكان أول ظهور لمصطلح الصهيونية عام 1890 وذلك في مقالة له نشرها في مجلة "التحرر الذاتي"، ويُعرِّف "بيرنبام" الصهيونية بأنها نهضة سياسية لليهود تستهدف عودتهم الجماعية إلى فلسطين كما أكد على أن الصهيونية ترى أن القومية والعرق والشعب شيئاً واحداً[64].

وقد شهد القرن السادس عشر مقدمات للدعوة الصهيونية حينما قام أحد اليهود ويُدعى "**ديفيد روبيني**" بدعوة يهود العالم لغزو فلسطين والاستيلاء عليها ولكن هذه الدعوة لم تجد لها أصداءً، وكانت دون جدوى، إلا أنه في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر اتخذت الدعوة الصهيونية صورة جدّية وبدأت تنشر أفكارها على العالم وتحاول التأكيد على مبادئها وأفكارها عن

---

[59]– عمر كيلاني، المنشأ الأوروبي للصهيونية ومراحل تهويدها، صحيفة الحياة، بيروت، 2003/12/25.

[60]– الصهيونية، الموقع الإلكتروني لوزارة الخارجية الإسرائيلية.
.http://mfa.gov.il/MFAAR/InformationaboutIsrael

[61]– جاء في مزامير داوود "على أنهار بابل هناك جلسنا، فبكينا عندما تذكرنا صهيون". 137:1.

[62]– الصهيونية، موقع إلكتروني وزارة الخارجية الإسرائيلية، مرجع سابق.

[63]– المرجع نفسه.

[64]– خالد الخولي، الصهيونية: التعريف والنشأة والتطور، القاهرة، الموقع الإلكتروني للطريق إلى الوحدة العربية، 2013/1/16.

طريق العديد من الكُتَّاب اليهود الذين أخذوا يدّعون في كتاباتهم إلى العطف على اليهود ويناشدون يهود العالم على تحقيق ما أسموه بِ"أرض الميعاد"[65].

وقد ساند هذه الدعوة العديد من أثرياء اليهود مثل "**إدموند دي روتشيلد**" أحد زعماء الفرع الفرنسي لعائلة "**روتشيلد**" المالية اليهودية والذي اهتم بأعمال الاستيطان اليهودي في فلسطين[66]. وقد مارست الصهيونية خلال تلك الفترة ضغوطاً على الحكومات للسماح لهم بإقامة وطناً قومياً لليهود في فلسطين، وقدم اللورد "**شافتسيري**" مذكرة إلى وزير خارجية إنجلترا يطلب فيها مساعدة حكومته للعمل على إنشاء وطناً قومياً لليهود في فلسطين ولكن محاولة "**شافتسيري**" لم تجد لها صدى في إنجلترا في ذلك الوقت[67].

ولم يُشكل تعثر تلك المحاولات نهاية الدعوة، بل كانت دافعاً قوياً للبحث عن سبل أخرى لتحقيقها، وبالفعل أخذ الصهاينة يعقدون المؤتمرات لدراسة دعوتهم وكان منها المؤتمر الذي عُقد عام 1887، وتقرر فيه تنظيم الهجرة إلى فلسطين. وهكذا فقد أخذ الصهاينة يبحثون كيفية تحقيق آمالهم وطموحاتهم فعقدوا المؤتمر الصهيوني في "بازل" في سويسرا في 29 آب 1897، وهو المؤتمر الأشهر في تاريخ المؤتمرات الصهيونية حيث يُعد بداية العمل الفعلي للصهيونية. وفي هذا المؤتمر تم انتخاب "**ثيودور هرتزل**" الذي كان له أكبر الأثر في تاريخ الصهيونية وتحقيق أحلامها وطموحاتها رئيساً للمؤتمر الصهيوني. وقد أسفر المؤتمر عن إنشاء "**المنظمة الصهيونية العالمية**" كإطار منظم لنشاط جميع التيارات الصهيونية، وجميع الجهود سواء كانت فردية أو جماعية بهدف إقامة الدولة الصهيونية، وبناءً عليه بدأت المنظمة الصهيونية عملها تحت اسم "**الوكالة اليهودية**"، حيث استهدفت تقديم الدعم والمساعدة لليهود المهاجرين إلى فلسطين[68].

ويتضمن تاريخ الصهيونية الغربية كماً كبيراً من التواريخ بدءاً من القرن السادس عشر من تطور هذه الصهيونية عبر مراحلها المختلفة؛ بدءاً من الإصلاح الديني البروتستانتي وتعبيراته اليهودية مروراً بما أنتجته الثقافة الغربية من فكر وأدب، وصولاً إلى البلورة السياسية للفكرة. ففي عام 1649، أرسل اللاهوتيان الإنجليزيان "**جوانا وايبنز كارترايت**" نداءً من هولندا إلى الحكومة البريطانية جاء فيه: "ليكن شعب إنجلترا وسكان الأراضي المخفوضة أول من يحمل أبناء وبنات إسرائيل على سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب لتكون إرثهم الأبدي"[69].

---

[65]– عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة العاشرة 1990، ص 21-22.

[66]– Matzpen: **Israel in a Historical Perspective**, Israel an Imperialism, Tel Aviv: Matzpen Press, 2002, p.1.

[67]– Tuchman, B. W., Bible and Sword: **England and Palestine from the bronze age to Balfour**. New York: Ballantine Books, 1984, p.192.

[68]– محمد ولد إلمي، "الأصل غير اليهودي للصهيونية"، **مجلة كنعان**، العدد 113، نيسان 2003، ص 29-60.

[69]– Sharif. R. **Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History**. London Zed Press, 1983, p. 40.

وفي عام 1818، دعا الرئيس الأميركي "**جون آدامز**" إلى إعادة اليهود لفلسطين وإقامة حكومة مستقلة لهم[70]. وفي عام 1839، أصدر اللورد "**بالمرستون**" الذي شغل منصبي وزارة الخارجية ورئاسة الوزراء في بريطانيا تعليمات إلى القنصل البريطاني في القدس "**وليام يونغ**" بمنح اليهود في فلسطين الحماية البريطانية لضمان سلامتهم وصيانة ممتلكاتهم وأموالهم[71].

وأثناء عقد مؤتمر الدول الأوروبية في لندن عام 1840، قدم اللورد "**شافتسبري**" مشروعاً إلى "**بالمرستون**" سماه مشروع "**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**" داعياً إلى أن تتبنى لندن إعادة اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة خاصة بهم ومحذراً من أنه لو تقاعست بريطانيا عن تنفيذ هذا المشروع؛ فإن هناك احتمالاً كبيراً لتنفيذه على يد دولة أخرى كروسيا مثلاً. وتبنى "**بالمرستون**" خلال المؤتمر مشروعاً يهدف إلى "**خلق كومنولث يهودي**" في النصف الجنوبي من سورية، أي فوق المساحة التي شغلتها "فلسطين التوراتية"[72].

وفي عام 1844، ألف البرلمان الإنجليزي لجنة "إعادة أمة اليهود إلى فلسطين"، وفي العام نفسه تألفت في لندن "الجمعية البريطانية والأجنبية للعمل في سبيل إرجاع الأمة اليهودية إلى فلسطين". وألح رئيسها القس "**كريباس**" على الحكومة البريطانية كي تُبادر للحصول على فلسطين كلها من الفرات إلى النيل ومن المتوسط إلى الصحراء[73].

وقد ترافقت هذه الدعوات مع جملة نشاطات ثقافية واستكشافية لفلسطين أهمها إصدار الكتب وتشكيل اللجان والجمعيات الدينية والثقافية والسياسية وحتى الجغرافية كما هي الحال بالنسبة إلى إنشاء صندوق اكتشاف فلسطين. وأبرز كتاب صدر في القرن السادس عشر هو كتاب "**مارتن لوثر**" بعنوان "عيسى ولد يهودياً" الذي صدر عام 1523، وأعيد طبعه سبع مرات في العام نفسه، وشرح فيه المواقف المؤيدة لليهودية ودان اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لليهود محتجاً بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد[74].

أما أبرز المشاريع في نهاية القرن الثامن عشر فتتمثل في دعوة "**نابليون بونابرت**" اليهود للالتحاق بجيشه والمحاربة من أجل إقامة دولة لهم في فلسطين برعاية وحماية فرنسية. وتعد هذه أهم المشاريع التي عرضتها الصهيونية الأوروبية غير اليهودية قبل صدور "وعد بلفور" عام 1917. إذ كان "**بونابرت**" أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين قبل "وعد بلفور" بنحو 118 سنة"[75].

إلا أن فشل "**نابليون**" في احتلال عكا، وفشل حملته كلها على مصر بعد ثلاث سنوات فقط من غزوها، واضطراره إلى الهرب منها والعودة إلى فرنسا قد حطمت آماله في إمبراطورية فرنسية في

[70]– عمر كيلاني، المنشأ الأوروبي للصهيونية...، صحيفة الحياة، مرجع سابق.

[71]– كيلاني، المنشأ الأوروبي للصهيونية...، صحيفة الحياة، مرجع سابق.

[72]– Tuchman and Sword, England and Palestine**..., ibd**, p.192.

[73]– Sharif, Non–Jewish Zionism..., ibid, p. 40.

[74]– كيلاني، المنشأ الأوروبي للصهيونية ...، صحيفة الحياة، مرجع سابق.

[75]– Simon Schwarzfuchs, **Napoleon, the Jews and the Sanhedrin**, USA: Oxford University Press, 1984, p.51.

الشرق، تأخذ على عاتقها إقامة دولة لليهود على أرض فلسطين لتكون مرتكزاً وقاعدة لهذه الإمبراطورية[76]. والأهم من ذلك أن يهود أوروبا، كما يهود الشرق، لم يُبدوا اهتماماً كبيراً بدعوات أو نداءات "**نابليون**" الصهيونية، ربما لأن الصهيونية لم تكن قد تبلورت بعد كفكرة وليس فقط كمشروع سياسي بين اليهود أنفسهم، ولم تكن قد تبلورت بينهم فكرة أنهم شعب أو أمة ذات حقوق سياسية. فالظروف الذاتية لكل من فرنسا واليهود ومعها الظروف الموضوعية العربية والدولية أسهمت في فشل حملة "**نابليون**" وحالت دون تحقيق أهدافها الفرنسية أولاً واليهودية تالياً[77].

وبعد مرور نصف قرن على فشل "**نابليون بونابرت**" في مصر، تمكنت فرنسا بقيادة الإمبراطور "**نابليون الثالث**" من الحصول على امتياز شق قناة السويس عام 1854 مستعيدة من جديد نواياها الاستعمارية السابقة في مصر والمشرق العربي وسط تنافس شديد مع بريطانيا التي بلورت أكثر الفكرة الصهيونية، وبلورت معها مشاريعها من أجل السيطرة لاحقاً على المنطقة، وتحديداً قبرص التي احتلتها عام 1878، ومصر التي احتلتها عام 1881. واستعاد الإمبراطور الفرنسي الجديد ما فعل سابقه في شأن فكرة توطين اليهود في فلسطين. وظهرت هذه الاستعادة من خلال شخصيتين قريبتين منه، أولهما "**جان دونان**" الذي أسس في باريس "جمعية استعمار فلسطين" وثانيهما "**ايرنست لاهران**" الذي دعا في عام 1860، إلى بناء دولة يهودية في فلسطين تحت حماية فرنسا "تمتد حدودها من السويس إلى ميناء أزمير بما في ذلك كامل المنطقة غربي جبال لبنان"[78].

وفيما بعد، اختار "**هرتزل**" الأرجنتين في كتابه "دولة اليهود" لتكون أحد الموقعين المحتملين لإقامة الدولة اليهودية، أما الموقع الآخر فكان فلسطين[79]. وقد اقترح "**هرتزل**" في تشرين الأول 1902، على وزير المستعمرات البريطاني "**جوزيف تشمبرلين**" مشروع مستعمرة يهودية في العريش وفي سيناء. وقال في مذكرة للحكومة البريطانية: "سيكون لإنكلترا عشرة ملايين عميل من أجل عظمتها وسيطرتها"[80]. إلا أن المشروع فشل بسبب رفض الحكومة المصرية وفتور الجانب البريطاني.

وفي تموز عام 1903، أجرى "**هرتزل**" اتصالات مع "**فرانتز فيليبسون**"، وهو مستثمر يهودي بلجيكي كان يمتلك احتكارات كبيرة في الكونغو، بغرض استمالته لتأييد فكرة إقامة دولة يهودية في الكونغو (التي كانت محتلة من بلجيكا) والتوسط لدى ملك بلجيكا لتبني المشروع[81]. وخلال عامي 1903 و1904، حاول "**هرتزل**" إقناع السلطان العثماني باستيطان اليهود في جنوب العراق، إلا أن السلطان رفض فكرة الاستيطان اليهودي الجماعي مبدياً موافقة على الاستيطان بشكل فردي وفي مناطق مختلفة داخل العراق أو خارجها شرط أن يحصل المستوطنون اليهود على الجنسية العثمانية[82].

---

[76]– كيلاني، المنشأ الأوروبي للصهيونية ...، مرجع سابق.

[77]– كيلاني، المنشأ الأوروبي للصهيونية ...، مرجع سابق.

[78]– المرجع نفسه.

[79]– أنظر مذكرات هرتزل الكاملة، مقتطف في الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص 1302.

[80]– المرجع نفسه.

[81]– المرجع نفسه.

[82]– المرجع نفسه.

واقترح "**هرتزل**" على ملك إيطاليا عام 1904، توجه هجرة اليهود الفائضة نحو طرابلس الغرب ضمن قوانين إيطاليا وأنظمتها. وبتشجيع من بريطانيا استمرت الفكرة قائمة وكادت المساعي الصهيونية أن تكلل بالنجاح. وفي عام 1908 أرسلت المنظمة الإقليمية اليهودية بعثة من الخبراء لتدرس أحوال برقة طمعاً باتخاذها مسرحاً إقليمياً للاستعمار اليهودي وإقامة مستعمرة يهودية قومية تتمتع بالاستقلال الذاتي في ليبيا[83].

ومن بين الأقاليم الأخرى التي دار حولها البحث للاستيطان اليهودي كلاً من إكوادور وبيرو وغينيا الجديدة ومدغشقر[84].

كانت الصهيونية السياسية بقيادة "**هرتسل**" بصدد البحث عن موقع جغرافي لمشروعها. ومن هنا زاوجت بين علمانيتها، وبين الديانة اليهودية كي تُجند الكثافة الديمغرافية لمشروعها. وعليه، فهذا يُبين المشترك الإمبريالي وتلاقي المصالح بين الصهيونية والرأسمالية الأوروبية الغربية؛ بمعنى أن كليهما أخذ يبحث عن استعمار مناطق خارج الوطن الأصلي، الأولى بحثاً عن مكان لاستعمار استيطاني، والثانية بحثاً عن مستعمرات. وهذا يفتح على حقيقة هامة هي أن الصهيونية لم تجد لمشروعها مكاناً مناسباً في أوروبا، وبما أن مناخ الاستعمار الاستيطاني كان سائداً في أوروبا في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فالصهيونية كحركة استيطانية، عانت من أزمة الرأسمالية في تلك الفترة، ووجدت أن خلق مشروعاً استيطانياً هو حلاً لطموحها. أما اعتماد اليهود كمكون بشري لها، فقد دفعها لإحياء مزاعم التوراة بشأن "أرض الميعاد" وزعم تواصل ما يسمى بتاريخ إسرائيل[85].

لقد بيّنا بأكثر من ملاحظة أن "دولة يهودية" غربية في فلسطين ليست فكرة يهودية صهيونية بل استعمارية أوروبية. وعليه، قد تكشف التنقيبات البحثية أن الحركة الصهيونية استقرت على فلسطين تحت رغبة وضغط الدول الكبرى، وهي رغبة، بل مصلحة التقطها "**هرتسل**" لاحقاً وطالب أن يكون هذا الاستيطان بحماية "**الدول الكبرى مجتمعة**"، وقد اجتمعت ولا تزال. لذا، وبعد أن فهمت الحركة الصهيونية ما أرادته الدول الغربية التي هدفت إلى خلق دولة وظيفية في فلسطين، وليس دولة لليهود كيهود في أي مكان يختارونه، تحدث "**هرتسل**" عن "الدول الكبرى مجتمعة" وبالتالي رفض عرض السلطان عبد الحميد بمنح اليهود حق الاستيطان الاستعماري في العراق وسوريا والأناضول واستثنى فلسطين مما دفع "**هرتسل**" إلى رفض العرض"[86].

ويُستنتج مما تقدم أن الصهيونية كفكرة نشأت وترعرعت وتبلورت في مشاريع توطينية في أوروبا وتحديداً في غربها، واستغرق ذلك نحو قرنين من الزمان إلى أن تلقفها اليهود وانتظموا في أطرها الفكرية والتنظيمية وبدأوا التعاطي مع مشاريعها. وانتظمت في جمعيات وحركات ومن ثم تمشرعت في

---

[83]– الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص 1302.

[84]– المرجع السابق، ص23.

[85]– عادل سمارة، علاقة الصهيونية بالإمبريالية والنظام العالمي الجديد، الموقع الإلكتروني لمركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، 2008/5/13.
.http://www.mokarabat.com/s4424.htm

[86]– مرجع سابق.

مشاريع توطينية من الأوروبيين بهدف؛ تخليص أوروبا من اليهود خصوصاً بعد تزايد هجراتهم من جزئها الشرقي إلى الجزء الغربي أثر التطور الصناعي والتجاري الذي شهدته وما تبع ذلك من تطور في اتجاه تزايد النشاط الاستعماري في مختلف أشكاله بما فيه التوطيني كما حصل في أميركا وأُستراليا وجنوب إفريقيا[87]، وتوطين اليهود في بقعة ما وتأسيس دولة لهم تكون محمية وتابعة وخادمة في الوقت ذاته للدولة الحامية والمانحة لهذا التوطين[88].

إن توطين اليهود وإقامة دولة خاصة بهم كان من الممكن أن يتم في أي بقعة من الأرض خارج أوروبا. فالحركة الصهيونية وحتى عقد مؤتمراتها الأولى وإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية وغيرها من الهيئات الصهيونية وحتى مع بدء إنشاء المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين عكست هذا المنشأ الأوروبي الاستعماري التوطيني من خلال سعيها واستعدادها للقبول بوطن يهودي في أي مكان من العالم، وبالتالي فإن توطين اليهود لم يكن بالضرورة ليتم في فلسطين[89].

إن اختيار فلسطين لإنشاء وطناً قومياً لليهود فيها من جانب بريطانيا عام 1917، جاء إثر هزيمة تركيا وحلفائها في الحرب العالمية الأولى وإثر التوافق الذي تم بين بريطانيا وفرنسا، بصفتهما أكبر قوتين أوروبيتين خاضتا الحرب متحالفتين معاً، في شأن اقتسام المشرق العربي كما تبلور في اتفاقات "**سايكس بيكو**" عام 1916[90].

**ب. وعد بلفوروالوطن القومي لليهود:**

أصدر وزير الخارجية البريطاني "**جيمس آرثر بلفور**" يوم 2 تشرين الثاني 1917، تصريحاً مكتوباً وجهه باسم الحكومة البريطانية إلى اللورد "**ليونيل والتر روتشيلد**"، يتعهد فيه بإنشاء "وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين"، واشتهر التصريح باسم "**وعد بلفور**"[91].

وقد اختلفت التفسيرات والدوافع وراء هذا الوعد، فـ"**بلفور**" نفسه برره بأنه بدافع إنساني، في حين اعتبره اليهود مكافأة للباحث "**حاييم وايزمان**" لخدمته بريطانيا باكتشافات علمية أثناء الحرب العالمية الأولى[92].

ويرفض باحثون عرب هذه التفسيرات استناداً إلى أحداث وقراءات تاريخية مفادها أن "**بلفور**" لم يكن يفكر في مأساة اليهود الإنسانية، بل على العكس من ذلك فقد رفض التدخل لدى الروس لمنعهم

---

[87]– الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص29.

[88]– ثيودور هرتزل، **دولة اليهود**، بيروت: (ترجمة وإصدار) مؤسسة الأبحاث العربية، ط[1]، 1997، ص2.

[89]– عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية: نموذج تفسيري جديد، القاهرة: دار الشروق،2001، ص32–33.

[90]– الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص25.

[91]– Yapp Malcolm, The Making of the Modern Near East 1792–1923, London: Longman, 1988, p291.

[92]– شفيق شقير، وعد بلفور: خلاف حول أسبابه وتحمل مسؤولية نتائجه، الموقع الإلكتروني للجزيرة.
http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2007/11/2

من اضطهاد اليهود. كما أن مساهمة اليهود في دعم بريطانيا في الحرب كانت محدودة ومقتصرة على بعض اليهود غير الصهاينة[93].

أما "**لويد جورج**" الذي أصدرت حكومته الوعد فقد برر القرار في كتابه "الحقيقة حول معاهدات الصلح" بعدة عوامل منها ما يُفيد بأنه كان هناك سباق مع ألمانيا حول كسب اليهود إلى جانبهم. ورأت بعض الصحف البريطانية حينها في "**وعد بلفور**" إيجاداً لقاعدة صهيونية في فلسطين لحماية مصالح بريطانيا في المنطقة، فضلا عن مد نفوذها الإمبراطوري إلى هناك[94].

أما الرؤية العربية والإسلامية فترى أنه كان هناك سعياً صهيونياً حثيثاً جعل الوعد جزءاً من الحركة الاستعمارية التي ربطت الصهيونية بها لتحقيق أهدافها في المنطقة، خاصة أنه أعقب الوعد بفترة قليلة بداية الاستعمار الفعلي لفلسطين، حيث أتم البريطانيون إخضاعهم لفلسطين ما بين عامي 1917 و1918، ورافق الوعد سياستهم في فلسطين منذ صدوره وحتى خروجهم منها[95]. فالوعد كان حاضراً في مؤتمر "**سان ريمو**" عام (1920) الذي منح فيه الحلفاء بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وكان حاضراً في عصبة الأمم التي صادقت في يوليو 1922 على صك إقرار الانتداب البريطاني؛ فالصك كان يتضمن في مقدمته نص تصريح "**وعد بلفور**" مع تخويل لبريطانيا بتنفيذ الوعد[96]. كما كان الوعد حاضراً في دستور فلسطين الذي أصدرته بريطانيا بعد أسبوعين من إقرار انتدابها أممياً، حيث ضمنت مقدمته نص تصريح "**وعد بلفور**" أيضاً[97].

هذا كله أعطى الوعد قيمة قانونية دولية بغض النظر عن صحتها، وأصبح مرجعاً فعالاً للاعتراضات اليهودية والصهيونية لكل من يعتقدون أنه يخالف نص هذا الوعد أو تفسيراته. خاصة أن ردود فعل الدول الكبرى –المؤثرة-على الوعد حين صدوره كانت مفعمة بتأييد واضح، فوقتها أيدت الوعد فرنسا وإيطاليا وأميركا بطريقة تسمح للبعض بالقول إن "**وعد بلفور**" كان وعداً غربياً وليس بريطانياً فحسب، أو أنه تأييد يرقى إلى منزلة "الوعد"، خاصة من الولايات المتحدة التي تشاركت النفوذ البريطاني في فلسطين في مراحل لاحقة قبل أن ترثه[98]. فقد أصدر الكونغرس الأميركي عام 1922، قراراً أيد فيه "**وعد بلفور**" بإقامة وطناً قومياً للشعب اليهودي في فلسطين، وقد تقدمت هذه السياسة مع تزايد النفوذ الأميركي في المنطقة حتى أصبح تعهداً استراتيجياً أميركياً برعاية إسرائيل وحمايتها[99].

**ثانياً. تمكين اليهود من فلسطين**

**أ. مؤتمر "سان ريمو" عام 1920 والانتداب على فلسطين:**

[93]– المرجع السابق.

[94]– Malcolm, the Making of the Modern Near East …, ibd, p290.

[95]– الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص33-34.

[96]– المرجع نفسه.

[97]– المرجع نفسه.

[98]– شقير، وعد بلفور...، مرجع سابق.

[99]– المرجع نفسه.

تم توقيع معاهدة "**سان ريمو**" عام 1920، التي حددت مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية في المشرق العربي. ونتيجة لموقف إنكلترا وفرنسا من مقررات المؤتمر السوري العام المنعقد في عام 1920، انعقد المجلس الأعلى للحلفاء -الذي يعتبر امتداداً لمؤتمر لندن المنعقد في شباط 1920 في مدينة سان ريمو الإيطالية-في المدة ما بين التاسع عشر والخامس والعشرين من نيسان 1920؛ للبحث في شروط الحلفاء للصلح مع تركيا طبقاً لـ"**معاهدة سيفر**"، والمصادقة عليها بعد إعلان سوريا استقلالها ومناداتها بالأمير فيصل ملكاً عليها في المؤتمر السوري العام في الثامن من آذار 1920[100].

وقد بحث المؤتمر "**معاهدة سيفر**" التي رسمت مستقبل المنطقة العربية التي تضم العراق وسوريا الطبيعية بما فيها لبنان والأردن وفلسطين، والتقسيمات والانتدابات حسب مصالح دول الحلفاء؛ بحيث تُقسم سوريا الكبرى إلى أربعة أقسام: سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين[101]، على أن تكون سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق والأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ "**وعد بلفور**". وقد جاء ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، سعياً لتحقيق "**وعد بلفور**" لليهود فيها. ولم يكن قرار الانتداب في "سان ريمو" إلا تطبيقاً لاتفاقية "**سايكس-بيكو**" المشهورة عام 1916، وإصراراً قوياً من فرنسا على احتلال سوريا[102].

يقول "**نتنياهو**" معقباً على نتائج المؤتمر: "تم التعهد لليهود في (سان ريمو)، ببيت قومي في فلسطين، على أرض تبلغ مساحتها خمسة أضعاف مساحة (أرض إسرائيل) حالياً. وقد أُعطي هذا التعهد في أعقاب اعتراف دولي واضح بحق اليهود في العودة إلى الأرض التي أُخرجوا منها رغم إرادتهم، معززاً بتعاطف العالم مع المعاناة الفظيعة التي لحقت بالشعب اليهودي أثناء فترة تشرده الطويلة"[103].

وقد جاء ذلك حسب "**نتنياهو**"، عندما أدرك سياسيون واعون، أمثال: "**ووردو ويلسون**" و"**لويد جورج**"، الوضع المهمل في "أرض إسرائيل". وبعد أن أدركوا أن الوجود العربي القليل في هذه البلاد، والذي لا يستغل الأراضي الخالية لسد الاحتياجات المتواضعة للسكان، لا يمكن أن يكون عنصراً حقيقياً مقابل مطالبة ملايين اليهود من كل أنحاء العالم بدولة لهم. خاصة، إذا أخذنا بالاعتبار المنطقة العربية الواسعة (التي تبلغ مساحتها 500 ضعف "أرض إسرائيل") التي تشكل الوطن القومي للعرب[104].

أبدت بريطانيا التزاماً تجاه المطلب التاريخي لليهود في فلسطين، تعبيراً عن الاعتراف بمساهمتهم في المجهود الحربي، وبحقوقهم التاريخية. لذا لم يكن مستغرباً أن يؤكد السياسيّون البريطانيون حقوق

---

[100]– حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، مرجع سابق، ص18–24.

[101]– المرجع نفسه.

[102]– المرجع نفسه.

[103]– نتنياهو، مكان بين الأمم...، مرجع سابق، ص57.

[104]– المرجع نفسه.

اليهود في إطار كتاب الانتداب الصادر عن عصبة الأمم، ولم يواجه هذا التأييد أي اعتراض، نظراً لأن كثيرين آخرين، كانوا يعترفون بتلك الحقوق[105].

كما عبَّر "**وينستون تشرشل**" عام 1921، عن حقوق اليهود تلك، عندما قال: "واضح للغاية أن العدالة تقضي بأن يكون لليهود الموزعين، مركز قومي ووطن قومي يتّحدون فيه من جديد، وأين يمكن أن يكون مثل هذا الوطن، إن لم يكن في فلسطين، التي يرتبطون بها ارتباطاً وثيقاً وعميقاً، منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة؟ نحن نعتقد أن هذا الأمر سيعود بالفائدة على العالم، وعلى اليهود، وعلى الإمبراطورية البريطانية وعلى العرب أنفسهم الذين يعيشون في فلسطين ... سيكون هؤلاء شركاء في خير وتقدم الصهيونية"[106].

**ب. مؤتمر عصبة الأمم عام 1922 و إقرار صك الانتداب:**

ما أن صدر قرار مؤتمر "**سان ريمو**" لدول الحلفاء عام 1920، بالموافقة على "**وعد بلفور**" وانتداب بريطانيا على فلسطين حتى سارعت الدبلوماسيتان البريطانية والصهيونية إلى العمل في عصبة الأمم للحصول على صك الانتداب البريطاني، ليكون بمثابة تصديق رسمي لذلك القرار، ويتضمن الخطوات الكفيلة بتنفيذ تصريح "**بلفور**"، أي: بناء الوطن القومي اليهودي بإشراف الانتداب البريطاني. وقد وُضعت مسوّدات صك الانتداب، كـ "**وعد بلفور**"، بالتشاور السري بين الحكومة البريطانية والمنظمة الصهيونية العالمية، وبمعزل تام عن عرب فلسطين[107].

وكان الوفد البريطاني إلى مؤتمر الصلح في باريس قد طلب من المنظمة الصهيونية العالمية صوغ مقترحاتها بشأن الانتداب على فلسطين في مشروع متكامل، فوضعته وقدمته إلى الحكومة البريطانية في 15 تموز1919، التي أدخلت فيه بعض التعديلات وقدمته إلى عصبة الأمم في 6 كانون الأول 1920. وفي آب 1921، قدمته الحكومة البريطانية إلى البرلمان البريطاني، فأدخل فيه تعديلات أخرى، وجوبه بمعارضة داخلية قوية، ورفضه مجلس اللوردات في حزيران 1922، كما ورد ذكره. ولكن الحكومة أحالته على مجلس العموم، الذي وافق عليه. وفي 24 تموز 1922، صادق عليه مجلس عصبة الأمم، ووُضع موضع التنفيذ في 29 أيلول 1923[108].

وكان من أسباب التأخير في إقرار صك الانتداب أيضاً، محاولة تسوية المسائل السياسية العالقة في نطاق المصالح الاستعمارية المتنافسة لدول الحلفاء: فتم تسوية مشكلة الحدود السورية الجنوبية بين بريطانيا وفرنسا، وتقرر فصل شرقي الأردن في إمارة خاصة[109].

[105]– المرجع السابق، ص 63.

[106]– نتنياهو، مكان بين الأمم...، مرجع سابق، ص 63

[107]– إسماعيل أحمد ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، الرياض: دار المريخ، 1983، ص20–25.

[108]– الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية...، مرجع سابق، ص32–35.

[109]– المرجع نفسه.

تألف صك الانتداب من مقدمة و28 مادة، وكان بمثابة الدستور الذي حكمت به بريطانيا فلسطين طوال فترة الانتداب. وقد تضمنت المقدمة نص "**وعد بلفور**"، ومصادقة عصبة الأمم على انتداب بريطانيا على فلسطين مع تخويلها مسؤولية تنفيذ الوعد، وتأكيد الصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين، والأسباب التي تدعو إلى إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد. وقد اختصت المواد الثانية والرابعة والسادسة والسابعة والحادية عشرة والثانية والعشرون بإنشاء الوطن القومي اليهودي، وشكلت مخططاً متكاملاً لتحقيق ذلك من النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية[110].

فقد نصت المادة الثانية على إعطاء الدولة المنتدبة السلطة التامة في الاشتراك والإدارة، واعتبرتها مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي... وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين[111].

ونصت المادة الرابعة على إنشاء وكالة يهودية معترف بها لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الأمور التي تُؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي[112].

ونصت المادة السادسة على تسهيل هجرة اليهود... وأن تشجع حشدهم في الأراضي الأميرية والأراضي الموات، مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع الفئات الأخرى من السكان[113].

أما المادة السابعة فنصت على أن يشمل قانون الجنسية نصوص تُسهل اكتساب اليهود للجنسية الفلسطينية[114].

فيما نصت المادة الحادية عشرة على أنه يمكن للإدارة البريطانية أن تتفق مع الوكالة اليهودية على أن تقوم الوكالة بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية وتطوير مرافق البلاد الطبيعية[115].

ونصت المادة الثانية والعشرون على أن "تكون الإنكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين[116].

أما المادة الخامسة والعشرون فقد أعطت الدولة المنتدبة الحق، بموافقة عصبة الأمم، في أن تُرجئ أو تُوقف تطبيق ما تراه غير قابل للتطبيق من هذه المواد على المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن، ومن ثم وافق مجلس عصبة الأمم على استثناء منطقة شرقي الأردن من تطبيق مواد صك الانتداب المتعلقة بإنشاء الوطن القومي اليهودي، كما وافق على تخويل بريطانيا المسؤولية الكاملة عن الانتداب على شرقي الأردن[117].

---

[110]– أنظر نص صك الانتداب، وثائق فلسطين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1987.

[111]– المرجع نفسه.

[112]– المرجع نفسه.

[113]– المرجع نفسه.

[114]– المرجع نفسه.

[115]– المرجع نفسه.

[116] – المرجع نفسه.

[117]– المرجع نفسه.

هذا وقد كانت الوكالة اليهودية إبان الانتداب البريطاني بمثابة حكومة يهودية مستقلة، حيث أشرفت على إدارة وتسيير المرافق التعليمية والاقتصادية الصهيونية في فلسطين وإدارات العلاقات الخارجية للاستيطان الصهيوني ومتابعة الوكالة ونشاطاتها بعد إعلان قيام الدولة من خلال مشاريع استيعاب المهاجرين الجدد ودعم النشاط الاستيطاني ومتابعة الهجرة اليهودية وتوفير الدعم المالي لعدد كبير من المؤسسات التعليمية والاجتماعية اليهودية[118].

نرى مما سبق، أن صك الانتداب وثيقة سياسية بالغة الخطورة، والمستند الذي أبرزت به بريطانيا سياستها الصهيونية، على أساس أنه تعهداً دولياً ملزماً فوضت عصبة الأمم إليها أمر تنفيذه. فقد تضمنَّ هذا الصك مخططاً مدروساً لإقامة الوطن القومي اليهودي الذي نص عليه تصريح "**بلفور**" وخصصت مواده الرئيسة لضمان المصالح الصهيونية والبريطانية[119].

وتجاهل صك الانتداب الأكثرية العربية الساحقة ولم يأتِ على ذكر وضعها وحقوقها، إلا بشكل منقوص جداً وعرضي، في الوقت الذي كان عددها في فلسطين يفوق 90% من مجموع السكان، واليهود دون 10% ولا تكاد ترتفع أملاكهم إلى 2% من الأراضي وقت صدور الصك. كما كان الصك خرقاً لاتفاقية "**حسين-مكماهون**" التي تعهدت بريطانيا بموجبها باستقلال البلاد العربية بعد الحرب، على الرغم من الادعاء البريطاني بأن فلسطين قد استثنيت من تلك الاتفاقية[120]،

كذلك، كان الصك مخالفة لميثاق عصبة الأمم" بحسب ما جاء في المادة الثانية والعشرين الذي جعل لرغبة السكان الأصليين المقام الأول في اختيار الدول المنتدبة؛ فالعرب، وهم السكان الأصليّون والأغلبية الساحقة، لم يختاروا بريطانيا، بل إن المنظمة الصهيونية العالمية هي التي اختارتها[121].

أما الحركة الصهيونية، فقد رأت أن بريطانيا انتزعت في مؤتمر عصبة الأمم، شرق الأردن من منطقة الوطن القومي اليهودي وأقامت إمارة شرق الأردن على جزء كبير من الأراضي المخصصة للشعب اليهودي (ما يقارب 77% من هذه الأراضي)، وتم إغلاق شرق الأردن بكاملها في وجه الاستيطان اليهودي[122].

---

[118]– الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية...، مرجع سابق، ص 40.

[119]– الهيئة العامة للاستعلامات – النكبة.

http://nakba.sis.gov.ps/British-mandate/British-mandate-2.html

[120]– المرجع نفسه.

[121]– المرجع نفسه.

[122]– نتنياهو، مكان بين الأمم...، مصدر سابق، ص67. أُنظر أيضاً ما قاله هيرتز، الانتداب على فلسطين، مرجع سابق:

بين أعوام 1917 إلى 1947. الآلاف من اليهود في جميع أنحاء العالم استيقظوا في صباح أحد الأيام وقرروا مغادرة منازلهم والذهاب إلى فلسطين؟ الغالبية فعلت ذلك لأنها سمعت أن الوطن القومي المستقبلي للشعب اليهودي كان يجري تأسيسه في فلسطين، على أساس من التزام بوثيقة الأمم بشأن "الانتداب على فلسطين". و"الانتداب على فلسطين"، هي وثيقة تاريخية من وثائق الأمم، أعطت الحق القانوني لليهود للاستيطان في أي مكان في فلسطين الغربية، بين نهر الأردن و البحر الأبيض المتوسط، إن "الانتداب على فلسطين" ليست رؤية ساذجة احتضنت فترة وجيزة من قبل المجتمع الدولي، وإنما هي قرارات ملزمة لواحد وخمسون بلداً عضواً أعلنت بالإجماع يوم 24 يوليو 1922: من المهم أن نشير إلى

ورغم الإجحاف الذي ألحقته مقررات المؤتمر بحق اليهود، إلا أنه تم التأكيد مجدداً على حقهم بإقامة وطن قومي لهم في "أرض إسرائيل الغربية"[123].

واعتبر قادة إسرائيل لاحقاً أن انتزاع شرق الأردن من منطقة الوطن القومي اليهودي، شكل تنازلاً مسبقاً من جانب الحركة الصهيونية، وهو بمثابة تعويض للفلسطينيين الذين يشكلون أغلبية سكانية به، وهناك من اعتبر بأن الأردن هو الدولة الفلسطينية القائمة بالفعل، مما يُبطل ادعاءات الفلسطينيين بأنهم بلا دولة، وينفي أحقيتهم بدولة ثانية في الأراضي المحتلة عام 1967.

## النتائج والتفسيرات

مما سبق، يتضح أن قادة الحركة الصهيونية وفيما بعد قادة إسرائيل، نظروا إلى الشعب الفلسطيني بصورة استعلائية وعدائية، حتى قبل أن يتبلور الصراع، ويتوطن، ويأخذ أبعاده وأشكاله، وتتحدد عوامله ومستوياته المختلفة، إذ أنكروا منذ وقت مبكر وجوده كشعب له جذور عميقة، وأصول تاريخية، وتجليات حضارية انبثق عنها هوية جماعية وتطلعات وطنية، رغم خضوعه لسيطرة دول وإمبراطوريات كثيرة، على امتداد حقب زمنية طويلة، سبقت الانتداب البريطاني.

ومع تبلور الصراع على الأرض، بين الفلسطينيين الموجودين أصلا، وبين المهاجرين اليهود الجدد الطامحين لبناء دولتهم الجديدة على أنقاض وجود الشعب الفلسطيني وآماله وتطلعاته للمستقبل، رفض الفلسطينيون فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين تحقيقاً لوعد "**بلفور**". وازدادت حدة العداء والتناحر، وتغذت بعوامل خارجية (توازنات ومصالح الدول الكبرى)، إلى جانب عوامل الصراع المحلية بين الفلسطينيين والحركة الصهيونية. ووصل الصراع ذروته عند صدور قرار التقسيم عام 1947، الذي وافقت عليه الحركة الصهيونية لتثبيت وجودها على الأرض واكتساب الشرعية الدولية، في حين رفضه الفلسطينيون الذين تعاملوا معه كصدمة سياسية وعاطفية، أملتها معطيات السياق التاريخي في ذلك الوقت.

لم تلتزم إسرائيل بمضامين واشتراطات قرار التقسيم بموضوعات الحدود والقدس واللاجئين الفلسطينيين، واستغلت نتائج حرب عام 1948، وقامت بتوسيع حدودها بما يتجاوز قرار التقسيم، واستولت على 78% من أرض فلسطين "الانتدابية". وتزامن ذلك مع ضربات قاسية وُجِّهت للكيانية

---

أن الحقوق السياسية في تقرير المصير للبنان وسوريا (الانتداب الفرنسي) والعراق ولاحقاً شرق الأردن ، باعتبارها كيانات سياسية، قد مُنحت للعرب من قبل نفس عصبة الأمم التي منحت اليهود نفس الحق في فلسطين.

Hertz," Mandate for Palestine: "The Legal Aspects of Jewish Rights.

[2]–يقول دوري غولد وشيف هلمرتش:"إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تأسست في القرن الماضي والتي تم الاعتراف بها من قبل كل من عصبة الأمم والأمم المتحدة. وثيقة عصبة الأمم لم تقر فقط بحق الشعب اليهودي في وطن قومي، وإنما اعترفت بوجوده السابق وارتباطه القديم بوطنه التاريخي". أنظر:

Dore Gold and Jeff Helmreich. **The Rights of the Jewish People to A sovereign State in their Historic homeland**. Jerusalem: Jerusalem center for Public Affairs, 2003.p.4.

الوطنية الفلسطينية، بعد أن تم ضم الضفة الغربية للمملكة الأردنية الهاشمية، وإلحاق قطاع غزة بالحكم المصري.

وبعد أن قامت إسرائيل باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، وأراضٍ عربية أخرى عام 1967، استمرت في إنكار وجود الشعب الفلسطيني ورفضت الاعتراف بممثله الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية، ونفت أحقيته بدولة.

بمرور الوقت، أدركت إسرائيل أن وضع الفلسطينيين الذين يخضعون إلى احتلالها (ولا توجد لديهم مواطنة طبيعية، ولا مؤسسات تمثيلية، ولا يحصلون على الحد الأدنى من الخدمات الإنسانية، وتزداد معاناتهم، بما يتواكب مع تعاظم تطلعاتهم الوطنية، وتنامي تعبيرات رفضهم للاحتلال)، لن يستمر طويلاً وفقاً لصيغة الوضع الراهن القائمة والمفضلة لديها، الأمر الذي أرَّقَ قادة إسرائيل، وجعلهم يبحثون عن بدائل أخرى لا يترتب عليها تكلفة حقيقية، تُنهي تلك المعضلة الزاحفة والمتراكمة، وتوفر حلاً "للسكان الفلسطينيين"، لكن دون التنازل عن الأراضي المحتلة. وكذلك استمرت بالتهرب من مواجهة الحقيقة الواضحة التي تفيد أن الشعب الفلسطيني لن يرضى بأن يكون أقل من الشعوب التي نالت حريتها، وقررت مصيرها بنفسها، وأسست دولها المستقلة.

وقد شكل اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987، نقطة تحول صادمة في التفكير الإسرائيلي، وفي العلاقة ما بين الشعب الفلسطيني المحتل ودولة الاحتلال، وهي التي دفعت إسرائيل لإعادة النظر بمحددات سياستها بالإنكار، وتطوير بدائل جديدة تستجيب للمتغيرات التي فرضتها الوقائع على الأرض، بما يمكنها من التغلب على مشكلاتها وتحقيق مصالحها. وهذا ما يمكن تناوله في بحث آخر ذو صلة بسياسة إسرائيل بالاعتراف بالكيان الفلسطيني.

## المراجع:

### أولاً: الكتب باللغة العربية


- أبو لغد إبراهيم، **تهويد فلسطين**، (ترجمة: أسعد الزرو). الكويت: رابطة الاجتماعيين، 1972.
- أبو عودة يحيى. **جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في إسرائيل وأثرها على اتجاهات التسوية**. رام الله: مركز رام الله للدراسات. 2012.
- أمين بديعة. **الأسس الأيديولوجية للأدب الصهيوني**. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط[1]، 1989.
- بابه أيلان. **التطهير العرقي في فلسطين**، (ترجمة: أحمد خليفة). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007.

- بالمبو ميخائيل. **كيف طُرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948**. بيروت: دار الحمراء، 1990.
- التلمود. الكتاب الثالث، (الفصل الأول).
- التناخ. **سفر إشعيا**، (الإصحاحان:11، 33).
- التناخ. **سفر التكوين**، (الإصحاحات: 12، 15، 17، 25، 27).
- جبريني محمد. **المشروع السياسي لأرئيل شارون: خطة فك الارتباط من جانب واحد**. جامعة القدس، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006.
- الخولي حسن صبري. **سياسة الاستعمار والصهيونية في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين**. الإسكندرية: دار المعارف، ط[1]، 1973.
- الربيعي فاضل. **فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم**. دمشق: دار الفكر المعاصر 2008.
- ساند شلومو. **اختراع أرض إسرائيل** (ترجمة: أنطوان شلحت واسعد زعبي) رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2013. (عبري).
- شلحت أنطوان. **بنيامين نتنياهو: "عقيدة اللا حل"**. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014.
- عبد الرحمن أسعد ونواف الزرو. **موجات الغزو الصهيوني 1882 – 1990**. عمان: دار اللوتس، 1990.
- كابليوك أمنون. **إسحق رابين اغتيال سياسي** (ترجمة: بدر عقيلي). عمان: دار الجليل للنشر، 1997. (عبري).
- الكيالي عبد الوهاب. **تاريخ فلسطين الحديث**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت: ط[10]، 1990.
- مزعل غانم. **الشخصية العربية في الأدب العبري**. عكا: دار الأسوار، 1985.
- المسيري عبد الوهاب. **الأيديولوجية الصهيونية**. الكويت: عالم المعرفة، جزء1، جزء2، 1978.
- المسيري عبد الوهاب. **الجماعات الوظيفية اليهودية**: نموذج تفسيري جديد. القاهرة: دار الشروق،2001.
- المسيري عبد الوهاب. **مقدمة لدراسة الصراع العربي-الإسرائيلي: جذوره ومساره ومستقبله**. بيروت: دار الفكر المعاصر، 2003.
- مصالحة نور الدين. **طرد الفلسطينيين، مفهوم "الترانسفير" في الفكر والتخطيط الصهيونيين 1882-1948**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1992.

- ناصر محمد ناصر. **البحث العلمي أطرهُ وأدواته ومناهجه**. صنعاء: عاصم للطباعة والنشر، 2003.
- نتنياهو بنيامين. **مكان بين الأمم: إسرائيل والعالم** (ترجمة وتحقيق: محمد عودة وكلثوم السعدي). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ط2، 1996. (عبري).
- نص صك الانتداب. وثائق فلسطين. دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، 1987.
- هرتزل ثيودور. **دولة اليهود**. بيروت: (ترجمة وإصدار) مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1997. (عبري).
- ولد إلمي محمد. الأصل غير اليهودي للصهيونية. **مجلة كنعان**، العدد 113، (نيسان 2003).
- ياغي إسماعيل أحمد. **الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية**. الرياض: دار المريخ، 1983.


**ثانياً: الكتب باللغة الإنجليزية**


- Begin Manachem. **The Revolt**, (Translator: Samuel Katz). New York: Tolmich-EBooks, 2013.
- Clement Leslie S., **the Rift in Israel**: Religious Authority and Secular Democracy. London: Rout ledge & Kegan Paul 1971.
- Easton David. **A framework for Political Analysis**. Engle wood cliffs N.J: prentice- hall. Inc, 1965.
- Easton David. **A Systems Analysis of Political life**. New York: John Wiley and sons, Inc, 1965.
- Easton David. The political system: **An Inquiry into the state of political science**. New York: Alfred A.Kropf.1953.
- Malcolm Yapp. **The Making of the Modern Near East 1792-1923**, London: Longman, 1988.
- McDowall David**. Palestine and Israel: The Uprising and Beyond**. London: Tauris, 1989.
- Menuhin Moshe. The **Decadence of Judaism in Our Time**. Exposition Press, 1st ed (1965).

- Peters Joan**. From Time Immemorial: The Origins of the Arab-Jewish Conflict over Palestine**. Harper & Row, 1984.
- Schwarzfuchs Simon. **Napoleon, the Jews and the Sanhedrin**. USA: Oxford University Press, 1984.
- Sharif. R**. Non-Jewish Zionism: Its Roots in Western History**. London: Zed Press, 1983.
- Tuchman, B. W. Bible and Sword**: England and Palestine from the bronze age to Balfour**. New York: Ballantine Books, 1984.
- Hertz," Mandate for Palestine: "The Legal Aspects of Jewish Rights.


**ثالثاً: الكتب باللغة العبرية**


- كيمرلنج باروخ. **الفهم الاجتماعي لمصطلح الأمن القومي لإسرائيل**، رمات جان: تربوت ديمقراطيت، 2001.


**الملاحق:**

- خارطة (1): حدود الأرض التي خصصت لليهود في مؤتمر "سان ريمو" عام 1920[124].

[124] Hertz," Mandate for Palestine: "The Legal Aspects of Jewish Rights.

- خارطة (2): حدود الأرض التي خصصت لليهود في مؤتمر عصبة الأمم عام 1922[125].

[125] Hertz," Mandate for Palestine: "The Legal Aspects of Jewish Rights, ibd.

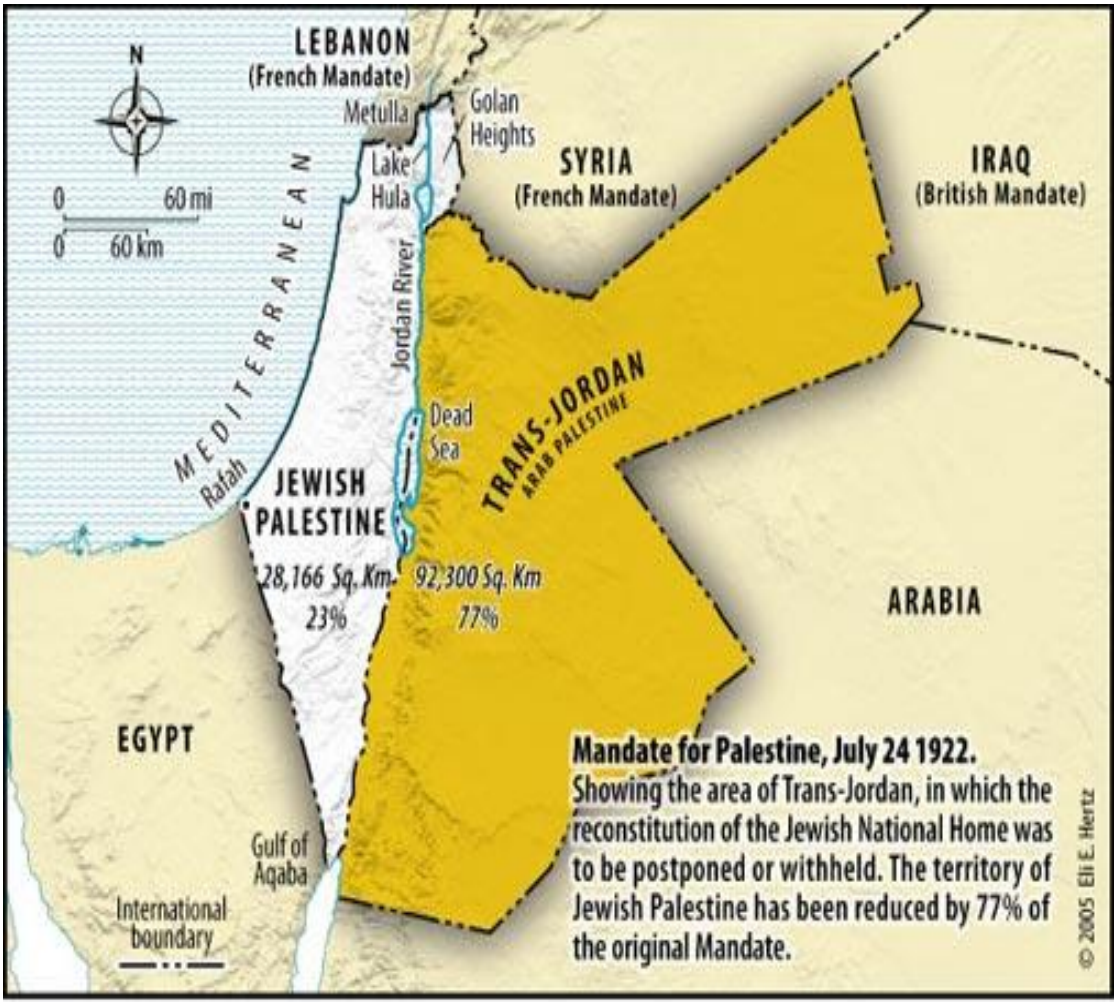
LEBANON
(French Mandate)
Metulla
Golan Heights
SYRIA
(French Mandate)
IRAQ
(British Mandate)
Lake Hula
Jordan River
MEDITERRANEAN
Rafah
JEWISH PALESTINE
28,166 Sq. Km.
23%
Dead Sea
TRANS-JORDAN
ARAB PALESTINE
92,300 Sq. Km
77%
ARABIA
EGYPT
Gulf of Aqaba
International boundary
0 60 mi
0 60 km
N
Mandate for Palestine, July 24 1922.
Showing the area of Trans-Jordan, in which the reconstitution of the Jewish National Home was to be postponed or withheld. The territory of Jewish Palestine has been reduced by 77% of the original Mandate.
© 2005 Eli E. Hertz